مجلة شهرية

نـــــور يسوع المسيح المسيـــــح

ΦΩΣ الغالب XΡΙΣΤΟΥ

Issue No: 172 عدد:

December 2021 شهر كانون أوَّل

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دخول سيِّدتنا والدة الإله إلى الهيكل

ديـر القديس سابا العامر للرُّوم الأُرثوذكس

القديس يوحنا الدمشقي والقديسة بربارة

القديس نيقولاوس

القديس سابا المتقدِّس

يحتفل دير القديس سابا العامر للرُّوم الأُرثوذكس وعلى التوالي بأعياد القديسين يوحنا الدمشقي والقديسة بربارة في كنيسة القديس يوحنا الدمشقي في ٤/ ١٢ش ، عيد القديس سابا في كاثوليكون الدير في ١٢/٥ش، وعيد القديس نيقولاوس في كنيستة في الدير في ١٢/٦ش.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد القديس نيقولاوس العجائبي

رئيس أساقفة ميرا ـ ليكيَّةَ – 19/12/2020

«لقد أصبحت يا نيقولاوس، مُناضلًا عن كنيسة المسيح كُلِّيِّ الحماسة، ناقضًا بِدَالَةٍ عقائد البِدَع الفكريَّة، وظهرتَ في جميع الأحوال دستورًا لاستقامة الرأي متشفعًا من أجل جميع التابعين لتعاليمك الإلهية وإرشاداتك.» هذا ما يتفوهُ بهِ **مرنم الكنيسة**.

أيُّها الإخوة المحبوبون في المسيح

أيُّها المسيحيُّون الأتقياء

إنّ التذكارَ الموقّر **لأبينا الجليل في القديسين نيقولاوس رئيسِ أساقِفة ميرا ليكيَّةَ العجائِبِيِّ** قد جمعنا اليوم في كنيستِهِ المقدسة التي تحمل اسمه لكي بشكرٍ وتمجيد نشكر **الرَّب إلهنا** مُكرِّمينَ ومُمجِّدين **القديس رئيس الكهنة**.

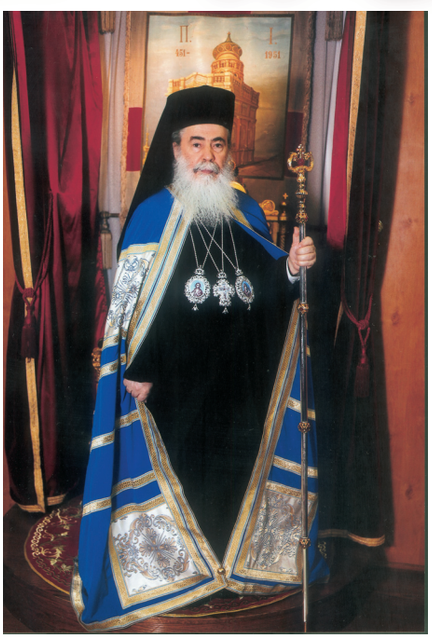

لقد وُلد **القديس نيقولاوس** في مدينة باترا في منطقة ليكيَّةَ وقد تميز بحياته الطاهرة الشريفة وعمله الرعوي العظيم، وبالأخص دفاعه ونضاله عن صحة عقائد الإيمان الأرثوذكسي. وذلك عند مشاركته في المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقيّة عام ٣٢٥ حيث ضحد ووبّخ بشدّة **التعليم الملوث لزعيم الهراطقة آريوس**.

أصغى **قديسنا** لأقوال المزمور الداؤُوديَّة «افْتَخِرُوا بِاسْمِهِ الْقُدُّوسِ. لِتَفْرَحْ قُلُوبُ الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الرَّبَّ. اُطْلُبُوا الرَّبَّ وَقُدْرَتَهُ. الْتَمِسُوا وَجْهَهُ دَائِمًا.» (مز ١٠٤: ٣-٤). لقد توسل **أبونا البار نيقولاوس** بشوقٍ حارٍ إلى **الله** الذي «شدَّدهُ وقوّاهُ بالرُّوح القُدُس لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قَلبِهِ» (أفسس٣:١٦-١٧) وهذا يعني أنَّ **نيقولاوس** المختار من **الله** قد جعل نفسه كما يقول **بولس الرسول**: «مَسْكَنًا للهِ فِي الرُّوحِ». (أفسس ٢:٢٢).

«مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ» (أفسس ٢:٢٠)، وهذا يعني على تعاليم الكُتب المقدسة وتقليد الكنيسة المقدس. لقد قاوم **نيقولاوس الإلهي ديانة الأوثان** بشدة كارزًا بدالَّةٍ بحقيقة إنجيل **المسيح**، لهذا فقد أسرَهُ الوثنيون، وفي سنة ٣٠٣ أثار **القيصر الروماني ديكليتيانوس، الاضطهاد** على المسيحية، فسام المؤمنين صنوف العذاب، وأمر بإغلاق كنائسهم، وإبادة كُتبهم المقدسة فسجن عددًا كبيرًا منهم، ونفى آخرين، وكان نصيب **رُعاة الكنيسة** من هذا الاضطهاد وافرًا جدًا، ومن بين هؤلاء الرُّعاة الصالحين كان **القديس نيقولاوس** الذي زجّه **جنود قيصر في غياهب السجون وأذاقوهُ مُرَّ الآلام**. وهو يتحمّلُ كل ذلكَ بصبرٍ جميلٍ حُبًا **بالمسيح**، ومكث **القديس نيقولاوس مسجونًا** حتى انتصر **قسطنطين الملك** على أعدائه وفتح أبواب السجون، فخرج المعترفون ظافرين، وعاد **القديس نيقولاوس** إلى رعيتهِ ليرعى الشعب الذي **ائتمنه الله** على رعايته. كما يشهد بذلك كاتب **السنكسار**.

اعتلى **قديسنا** العرش الأُسقفي لميرا – ليكيَّةَ من جهةٍ ومن الجهة الأخرى أنشأ عملهُ الرعوي والإنساني، وقد صار كما يقول **ربنا يسوع**: «السِّرَاجَ الْمُوقَدَ الْمُنِيرِ» (يوحنا ٥:٣٥)، وذلك بحسب **وصيته**: «لِتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمْنَطَقَةً وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً» (لوقا ١٢:٣٥). وهذا ما يؤكد عليه **مرنم الكنيسة** هاتفًا: «إِفْرَحْ يا هامةً مُكرَّمة. ومحلًّا نقيًّا للفضائل. وقانونًا شريفًا للكهنوتِ الإلهيّ. أيُّها الرَّاعي العظيم. المصباحُ السَّاطعُ الضِّياء. الحاملُ اسم الظفر. الكاسرُ خُبزَهُ بإشفاقٍ للجائعين. المصغي إلى ابتهالاتِ السُّقماء. المنقذُ السَّريعُ التَّلبيَة. الصَّائنُ الخلاصيُّ لجميعِ المقيمينَ بإيمانٍ تذكارَهُ الشهير. فيا كاملَ الغبطَةِ ابتهلْ إلى المسيح. أَن يمنحَنا الرحمةَ العُظمى.»

حقًّا أيُّها الإخوة الأحبة لقد استبان **نيقولاوس رئيس الكهنة** دستورًا للكهنوت الإلهي إلهيًّا **والرَّاعي العظيم**، لهذا فقد استطاع **أبونا البار نيقولاوس المتوشح بالله** أن يقبل بحرارةٍ وامتيازٍ وصايا **القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس** قائلًا: «اشْتَرِكْ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لأَجْلِ الإِنْجِيلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ اللهِ، الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا

يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ.» (٢تيم ١: ٨-١٠).

إنَّ هذه الحقيقة بأنَّ النعمة والخلاص قد ظهرت بتأنس وظهور مخلصنا **يسوع المسيح** الذي حطّم الموت وجلب الحياة والنور وعدم الفساد بكرازة الإنجيل، وعلّمها **أبونا البار نيقولاوس** الحامل في اسمه صفة النصر والغلبة، والذي أصبح مُقتديًا ومتمثِّلًا **ببولس الإلهي** حسب وصيته: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ.» (١ كور١١:١).

فإنَّ كنيسة **المسيح** تدعونا اليوم بفم **مرنم الكنيسة**: «لِنُبَوِّقَنَّ ببوق الأناشيد، ونجذل في العيد، ولنرقصنَّ ابتهاجًا بالموسم السنويّ لأبينا البارِّ نيقولاوس المتوشح بالله.»

وهذا لأنَّ **القديس أثناسيوس الكبير** يقول: إنَّ العيد الذي نُعيّد له هو مثال وصورة للفرح السماوي، فنأتي نحن بهذا العيد بالمزامير والترانيم الروحيَّة.

وبكلام آخر إنَّ أعياد تذكار قديسي الكنيسة ولا سيما **أبينا البار نيقولاوس** الذي نُعيّد له اليوم تدعونا فيهِ هذه الأعياد لكي نتذكر قول **الرسول بولس**: «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غلاطية ٣: ٢٧).

وهذا يعني أنَّنَا اعتمدنا بالإيمان **بالمسيح**، اعتمدنا لموته، فدُفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من بين الأموات، بمجد الآب، ننهض نحن من جرن المعمودية أُناسًا جُددًا لكي نسلك نحن في حياة جديدة. (رومية ٦: ٣-٤). وذلكَ لكي نكرس حياتنا كلها بالكلية سامعين وعاملين بوصايا **الرَّبّ** كما يقول **صاحب المزمور**: «أَمَّا رَحْمَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ عَلَى خَائِفِيهِ، وَعَدْلُهُ عَلَى بَنِي الْبَنِينَ، لِحَافِظِي عَهْدِهِ وَذَاكِرِي وَصَايَاهُ لِيَعْمَلُوهَا» (مزمور ١٠٢: ١٥-١٦).

فهلموا يا إخوتي الأحبَّة لكي نتوسل إلى خادم **الرَّبّ** لكي يتشفع دومًا إلى **المسيح الإله** الذي تجسَّد وتأنَّس **من دماء النقية الفائقة البركات، سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم**؛ ومع جميع الذين يُكَرِّمون تذكارك الشريف الموقر برغبةٍ ووقار نهتف مع **المرتل** قائلين: «استَعِدِّي يا بَيتَ لحمُ وليْتأَهبِ المِذود وتتقبلِ المَغَارة، فإنَّ الحقيقةَ قد جَاءَت، والظِّلَّ قَد جَازَ والإلهَ قد ظهرَ للبشرِ مِنَ البتول، ظاهرًا على صورتِنا ومؤلهًا طَبيعتَنا فلذلكَ قدْ تجدَّدَ آدمُ مع حواءَ هاتفَيْنِ: لقد ظهرت المسرةُ على الأرضِ لتُخلِصَ جِنْسَنا.»

صوم ميلادي مبارك خالٍ من المرض ومن جائحة الكورونا

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

«ماذا تفعلون؟» سأل **الكاهن المجهول**. «هل هذا هو كلّ ما تملكون؟ لا شيء آخر؟».

أجاب الآباء في الدير الآثوسيّ: بأنّ هذا هو فعلًا كلّ ما كانوا يملكونه. كان ذلك في شهر كانون الأوّل، ولم يكن بوسعهم شراء أيّ غذاءٍ إضافيّ **بسبب الاحتلال الفاشيّ**. يُذكَر أنّ الدير كان يحتاج إلى **عشرة آلاف أوكا** من القمح لمعيشته، ولم يستطيعوا شراء أوكا واحدٍ منها. (**أوكا =١,٣ كغم**).

أخذ **الكاهن المجهول** بضع حبّات قمح في يده، وباركها، ورماها فوق بقيّة القمح. ثمّ بارَكَ الجهات الأربع، والدير، والبحر، وهمّ بالمغادرة.

«من أين أنتَ؟»، **سأله الآباء**. «ابقَ لتناول بعض الخبز والزيتون».

«لقد أتيتُ من مكانٍ بعيدٍ جدًّا، من ميرا في ليكيَّة»، أجابَ ورحلَ.

وبينما كان أحد الإخوة يقدّم الطعام لأحد الزوّار، اختفى الشيخ الذي تبيّن فيما بعد **أنّه حامي الدير**. **أمّا المئة والخمسون أوكا من القمح المبارَك**، فقد دامت لنصف سنة، أي من شهر كانون الأوّل حين ظهر **القدّيس نيقولاوس** لهم حتّى شهر تمّوز حين حان موسم الحصاد الجديد.

From "On the Wondrous Interventions of the Mighty Right Hand of Divine Providence," An Athonite Geronikon: Sayings of the Holy Fathers of Mount Athos, compiled by Archimandrite Ioannikios Kotsonis, translated from the Greek by the sisters of the Holy Monastery of Saint Gregory Palamas in Thessaloniki, published 2003.

مخطوطات يونانيَّة قديمة تحوي تفسير بعض آيات الإصحاح الأوَّل من إنجيل القديس لوقا للقديس كيرلُّس الإسكندري

«الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ» (لو ١: ٢).

عندما سيقول **البشير لوقا** إنَّ الرُّسل كانوا شهود عيان لذات **الكلمة** المُحْيِي، فإنَّه بذلك يتفق مع **البشير يوحنا**، الذي يقول: إنَّ «الكلمة صار جسدًا، وحلَّ فينا، ورأينا مجده مجدًا كما لوحيدٍ من الآب» (يو ١: ١٤). **فالكلمة** أصبح من الممكن رؤيته بسبب الجسد الذي هو منظور وملموس وَصُلب، بينما **الكلمة** ذاته غير منظور. ويوحنا أيضًا يقول في رسالته: «اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ.» (١يو ١: ١).

أَلا تسمعونه يتحدَّث عن الحياة على أساسٍ أنها يمكن أن تُلمس؟ وهو يقول هذا لكي تفهموا أنَّ **الابن** صار إنسانًا وصار منظورًا من جهة الجسد، ولكنه غير منظور من جهة **لاهوته**.

«صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ.» (لو ١: ٥١).

الذراع يشير رمزيًّا إلى **الكلمة** الذي وُلِدَ من **العذراء**، وتعني **مريم** بالمستكبرين: **الشياطين الأردياء** الذين سقطوا مع رئيسهم بواسطة **الكبرياء**. ويعني أيضًا حكماء اليونانيين، الذين رفضوا أن يقبلوا كرازة الإنجيل التي يعتبرونها جهالة، وأيضًا اليهود الذين لم يؤمنوا والذين تشتَّتوا بسبب تصوراتهم غير اللائقة عن **كلمة الله**. وتقصُد «**بالأعزاء**» الكتبة والفريسيين الذين يسعون للكراسي الأولى. ومع ذلك فإنه أقرب إلى المعنى، أن يقصد «**بالأعزاء**» **الشياطين الأردياء**، فإنَّ هؤلاء حينما ادَّعوا السيادة على العالم فإنَّ **الرَّب** شتَّتهم بمجيئه إلينا، وَنَقَلَ أولئك الذين كانوا أسرى لهم إلى سيادته وملكوته هو. فإنَّ كل هذه الأشياء حدثت بحسب نبوءة **العذراء** بأنّه:

«أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ.» (لو ١: ٥٢).

فإنَّ **كبرياء هؤلاء الشياطين** الذي شتَّتهم هو **كبرياء فظيع**، وهكذا أيضًا **كبرياء** فلاسفة اليونان، وكذلك الفريسيون والكتبة كما ذكرت. ولكنه هو أنزلهم، ورفع أولئك الذين تواضعوا تحت يده القويَّة، وأعطَى هؤلاء السلطان أن يدوسوا الحيات والعقارب، وقوَّة العدوّ. وأبطَلَ مؤامرات هذه الكائنات المستكبرة ضدنا. اليهود الذين كانوا يفتخرون سابقًا بمملكتهم فقد نُزِعَت منهم بسبب عدم إيمانهم، بينما الوثنيون الذين لم يكونوا يعرفون **الله** رَفَعَهم ومجَّدهم بسبب إيمانهم.

«أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ.» (لو ١: ٥٣).

وهي تعني «**بالجياع**» الجنس البشري. إذ أنه فيما عدا اليهود كان الجميع مجروحين بالجوع، فاليهود كانوا أغنياء بإعطائهم الناموس وبتعليم الأنبياء القديسين. «الَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلَهُمُ التَّبَنِّي وَالْمَجْدُ وَالْعُهُودُ وَالاشْتِرَاعُ وَالْعِبَادَةُ وَالْمَوَاعِيدُ» (رومية ٩: ٤) ولكنهم تلَهّوا بالطعام الكثير، انتفخوا بالمنزلة التي أُعطِيَت لهم، ولأنهم رفضوا أن يقتربوا باتضاع من **الكلمة** المتجسِّد، فقد صُرِفُوا فارغين، لا يحملون معهم شيئًا لا الإيمان ولا المعرفة ولا الرجاء في البركات الآتية، فإنَّهم بالحقيقة صاروا منبوذين من أورشليم الأرضيَّة، وأيضًا غُرباء عن حياة المجد التي ستُعلَن في المستقبل، لأنَّهم لم يقبلوا رئيس الحياة، بل صلبوا ربّ المجد، وتركوا ينبوع الماء الحي، واعتبروا الخبز النازل من السماء أنه لا شيء، ولهذا السبب فقد أتى عليهم جوعٌ أشدّ من أي جوع آخر، وَعَطَشٌ أكثر مرارة من كُلّ عطش آخر. فإنَّه لم يَكُن جوعٌ إلى الخبز المادي ولا عطش إلى الماء، ولكنه «جوعٌ لاستماع كلمة الله» (انظر عاموس ٨: ١١).

ولكن الأمم الذين كانوا جياعًا وعطشى بنفوسهم الهزيلة البائسة، فقد امتلأوا بالبركات الروحيَّة، لأنَّهم قَبِلوا الرَّبّ. فإنَّ كل امتيازات اليهود قد نُقِلَت إليهم.

«عَضَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ لِيَذْكُرَ رَحْمَةً» (لو ١: ٥٤).

عَضَدَ إسرائيل – ليسَ إسرائيل حسب الجسد الذي يفخر بمجرَّد الاسم، ولكن ذلك الذي هو بالرُّوح وبحسب المعنى الحقيقي للاسم – ذلك الذي ينظر إلى الله، ويؤمن به، وينال تبنِّي البنين بواسطة الابن بحسب الكلمة التي أُعطِيَت، والوعد المُعطَى للأنبياء والبطاركة (رؤساء الآباء) القُدماء. ولكن كلمة إسرائيل لها انطباق حقيقي أيضًا على إسرائيل الجسدي، فإنَّ آلافًا وربوات من بينهم آمنوا. ولكنه قد ذكرَ رحمته كما وعد إبراهيم. وقد تمَّمَ ما قاله له: « وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (تك ٢٢: ١٨). فإنَّ هذا الوعد كان في طريقِهِ إلى التحقُّق بميلاد مخلِّصنا المسيح الذي كان على وشك الحدوث، الذي هو من نسل إبراهيم الذي فيه تتبارك الأمم، لأنه أمسك بنسل إبراهيم، كما تقول كلمات الرسول (انظر عب ٢: ١٦). وهكذا تحقَّقَ الوعد الذي أعطَى للآباء.

«وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ» (لو ١: ٦٩).

القديس كيرلُّس الإسكندري

إنَّ كلمة «قرن» تُشير لا إلى القوَّة فقط بل إلى المُلوكِيَّة. ولكن المسيح الذي هو المخلِّص الذي جاء لنا من بيت وجنس داود هو القوَّة والمَلِك معًا، لأنَّه هو ملك الملوك وهو قوَّة الآب غير المغلوبة.

«لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ» (لو ١: ٧٢).

المسيح هو رحمة وعدل «برّ» لأنَّنا نلنا رحمة بواسطته، وتبرَّرنا إذ قد غُسِلنا من أوساخ خطيتنا بالإيمان به.

«الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا» (لو ١: ٧٣).

لا ينبغي لأحد حينما يسمع أنَّ الله أقسَمَ لإبراهيم، لا ينبغي له أن يسمح لنفسه بأنْ يُقسِم، وكما أنَّ الغضب حينما يُقال على الله هو ليسَ غضبًا ولا يعني الانفعال، ولكن يُقصَد به القوَّة التي تظهر في العقاب أو أي حركة مشابهة. هكذا أيضًا فالقَسَم بالنسبة له ليسَ قَسَمًا. لأنَّ الله لا يُقسِم بل يشير إلى يقينيّة الحدَث – أي أنَّ ما يقوله سيحدث بالضرورة، لأنَّ قَسَم الله هو كلمته الخاصة التي تحُث الذين يسمعونه حتًّا كاملًا، وتُعطي كُل واحد الاعتقاد بأنَّ ما قد وعَدَ بِهِ الله وقاله لابدّ أن يحدث بالتأكيد.

«وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى، لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ» (لو ١: ٧٦).

أرجو أن تُلاحظوا هنا أيضًا، أنَّ المسيح هو العليّ الذي كان يوحنا المعمدان سابقًا له في ميلاده وكرازته لإعداد الطريق، فماذا يتبقى إذًا، لكي يقول أولئك الذين يُقلِّلون من لاهوته؟ ولماذا لا يفهمون أنه حينما قال زكريا: «وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى»، إنما كان يقصد بهذا الكلام أنَّهُ نبيّ «الله» مثل أنبياء الله السابقين له.

«لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ» (لو ١: ٧٩).

كان المعمدان بالنسبة لأولئك الذين تحت الناموس الساكنين في اليهوديَّة، كأنَّه سراج سابق للمسيح، وهكذا تكلَّم عنه الله سابقًا «هَيَّأْتُ سِرَاجًا لِمَسِيحِي» (مز ١٣١: ١٧). والناموس يُعطي إشارة عنه بالمنارة التي في المسكن الأوَّل، التي أوصَى أن تكون موقدة دائمًا. ولكن اليهود بعد أن سُرُّوا به فترة قصيرة مندفعين أفواجًا إلى معموديَّته، ومُعجَبين بطريقة حياته، فإنَّهم سريعًا ما جعلوه يرقد رقاد الموت مجتهدين أن يطفئوا المصباح الدائم الاشتعال. لذلك تحدَّثَ عنه المُخلِّص أيضًا: «كَانَ هُوَ السِّرَاجَ الْمُوقَدَ الْمُنِيرَ، وَأَنْتُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَهِجُوا بِنُورِهِ سَاعَةً» (يو ٥: ٣٥).

«لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ» (لو ١: ٧٩).

لأنَّ العالم في الواقع كان تائهًا في الضلال، يعبد المخلوق بدلًا من الخالق، وكأنَّ الليل قد سقط على عقول الجميع فلا يدعهم يبصرون ذاك الذي هو بالطبيعة وبالحقيقة الله.

الكنيسة الرُّومية الأرثوذكسيّة في خدمتها الليتورجية، تكرّمه راهبًا افتقر كمعلّمه، وهو رجل الغِنَى والمجد العالَمِيَّيْنِ، وانصرف عن الدنيا تاركًا اضطراب هذه الحياة وَشَواشَهَا وجادًّا في طلب سكون **المسيح**. أخضع جسده بأعراق النُّسك الكثيرة وَطَهَّر مشاعره بمخافة الله فأضحى مواطن الصحراء، وقاهر **الشرّير** وارتقى إلى المعالي السماوية مستغنيًا بالعمل والثاوريا (المعاينة الإلهية). وقد جَارَى بأناشيده الأجواق السماوية، ووضع نظام أنغام الموسيقى، فاستحق اسم داوود، صاحب المزامير. كما نَقَضَ البِدَع ودافع عن الإيمان **وَسَلَّمَ الكنيسة المعتقد القويم**، وبسط التعليم الصحيح بشأن **الأيقونات المقدّسة** فاستحق كلاهوتي، أن يدعى **رسولًا حبيبًا**. ولقُوَّة مؤلفاته فاق كل الحكماء الذين سبقوه. وهو **كموسى** ولج غيمة **الرُّوح القُدُس** واخترق الأسرار **الإلهية** ومدّها لنا بلغة متناغمة. لذا أضحى مستحق التعجّب لأنّنا به عرفنا أن **نمجّد الإله الكُلِّيَّ الصلاح**.

أعرق الشهادات بشأن **القديّس البار يوحنا الدمشقي** تفيد أنَّ أوَّل جامع لسيرته هو الراهب الكاهن ميخائيل السمعاني الأنطاكي. وقد أخرجها بالعربية سنة ١٠٨٥م. فيما تنسب النسخة اليونانية إلى بطريرك اسمه يوحنا، لَعَلَّهُ السابع الأنطاكي (١٠٨٨– ١١٠٦م).

أصله:

لا نعرف بالتأكيد أصل عائلة **القديس يوحنا**. بعض المصادر تقولُ إنَّهُ بيزنطيٌّ وبعضها سرياني فيما تبرز أهم الدراسات أنه عربي ابن عربي. دعي في الأساس منصور بن سرجون. ولَعَلَّهُ أصلًا من بني تغلب. استوطنت عائلته دمشق قبل القرن السادس للميلاد وكانت على رفعة في المقام والمنصب. شغل جدّه منصور مركز مدير المالية العام، وتبوأ حاكمية دمشق في زمن الإمبراطور البيزنطيّ موريس (موريق) (٥٨٢–٦٠٢م) وحتى هرقل (٦١٠–٦٤١م). ويبدو أنه هو الذي فاوض العرب على تسليم دمشق بعدما هجرت الحامية البيزنطية مواقعها وتركت الدمشقيين لمصيرهم. أما والده سرجون فولّاهُ **معاوية بن أبي سفيان** ديوان المالية، في سورية أولًا ثم في سائر أرجاء **الدولة الأموية**. وقد استمر في وظيفته إلى **خلافة عبد الملك بن مروان** (٦٨٥–٧٠٥م)، أي ما يزيد على الثلاثين عامًا كان خلالها زعيم المسيحيين في دمشق.

إلى ذلك يبدو أن اثنين من عائلة منصور شغلا **الكرسي الأورشليمي** في القرن التاسع للميلاد بشهادة سعيد بن البطريق (٨٧٧–٩٤١م).

نشأته وأيام صباه:

كان مولد يوحنا في مدينة دمشق ما بين العامين ٦٥٥ و٦٦٠ للميلاد. دعي منذ القرن التاسع «**دفّاق الذهب**» أو «**مجرى الذهب**» – وهو اسم نهر بردى في الأساس – بسبب النعمة المتألقة في كلامه وحياته. تتلمذ هو وأخ له بالتبني، اسمه **قزما**، لراهب صقلّي كان واسع الاطلاع، مُحيطًا بعلوم عصره. وكان اسم الراهب قُزما أيضًا، فكان سرجون والد يوحنا، أسره من قراصنة أتوا به إلى دمشق.

مَلَكَ يوحنا الفلسفة اليونانية فطوّعها، وتبحَّر فيها وفهم مكنوناتها، لكي يستطيع من خلال هذه الفلسفة **إيضاح الإيمان الأرثوذكسي**. عاش، أول أَمْرِهِ، عيشة الدمشقيين الأثرياء السهلة وكان من رواد **البلاط الأموي** بالنظر إلى مكانة والده عند **الخلفاء**. ربطته **بيزيد بن معاوية** صداقة حميمة، وكان يتحسّس الشعر ويتذوقه وتهتز مشاعره لدى احتكاكه بشعراء الصحراء. ويرى عدد من الدارسين أن بعض تآليفه تأثرت بهذا الاحتكاك، لاسيّما أناشيده وقوانينه. كما اكتسب من رفقته **بيزيد** معرفة **القرآن والديانة الإسلامية**.

هذا ويظهر أن يوحنا شغل مَنصبًا إداريًا رفيعًا في **زمن الأمويين**، وإنْ كُنَّا لا نعرف تمامًا ما هو. قد يكون أمينًا للأسرار أو مستشارًا أولًا. وقد أقام على هذا النحو زمانًا إلى أن **نفخت رياح التغيير فأخذ الحكّام يضيّقون على النصارى**. ولما **أصدر الخليفة عمر الثاني** (٧١٧–٧٢٠م) **قانونًا حظّر فيه على المسيحيين أن يتسلّموا وظائف رفيعة في الدولة ما لم يسلموا**، تمسّك يوحنا بإيمانه وتخلّى عن مكانته. ولعل هذا هو السبب الأوّل في زهده في الدنيا، وانصرافه عنها إلى الحياة الرهبانية في دير القديس سابا القريب من أورشليم.

اليد المقطوعة:

هذا ويُحكى أنَّهُ لما اندلعت **حرب الأيقونات المقدسة – الصور الكَنَسِيَّة**

في الإمبراطورية البيزنطية، واتخذت الدولة منها، **بشخص الإمبراطور لاون الإيصوري** (٧١٧-٧٤١م) **موقفًا معاديًا**، باشرت حملة واسعة لتحطيمها، وإزالة معالمها وإشاعة موقف لاهوتي رافض لها. وقد سعى **الإمبراطور** جهده لحمل الأساقفة، **بالترغيب والترهيب**، على **الإذعان لرغبته**. وكانت النتيجة أن خفتت أكثر الأصوات المعارضة، المتمسكة بالأيقونات. يومذاك هبّ **القدّيس يوحنا الدمشقي**– وكان حسبما نقل مترجمه، ما زال بعد في العالم– مدافعًا عن الأيقونات وإكرامها، فكتب وبعث برسائل عديدة في كل اتجاه، حتى قيل أنه اشترك في أعمال **المجمع الأورشليمي** المنعقد لهذه الغاية، وحضّ على المجاهرة **بهرطقة الإمبراطور وقطيعته**. ولما كانت سوريا وفلسطين خارج **الفُلك البيزنطي** فقد حاول **لاون الملك** أن يخنق صوت **الدمشقي** عن بُعد **وبالحيلة**. لهذا استدعى أمهر الخطّاطين لديه وطلب منهم أن ينسخوا له رسالة **كتبها زورًا** كما من القدّيس **إليه**، وأن يجعلوا الخط في الرسالة مطابقًا، قدر الإمكان، لخط الدمشقي. وكان مضمون الرسالة **الاستعانة بالإمبراطور على الخليفة**. وأرفق **لاون** الرسالة **المزوّرة** بأخرى شخصية عبّر فيها **للخليفة** عمّا أسماه «**صفاء المحبة بينهما وشرف قدر منزلته عنده**». وأردف بالقول إنه إذ يرغب في تأكيد المحبة والصلح بينه وبين **الخليفة** يرسل إليه صورة الرسالة التي أنفذها إليه عامل **الخليفة** يوحنا.

فلما اطّلع **الخليفة عمر بن عبد العزيز** على الرسالتين **استبدّ به الغضب الشديد** وأرسل في طلب **يوحنا** وواجهه بهما، فدافع **قديسنا** عن نفسه، ولكن دون جدوى، **فأمر الخليفة السيّاف بقطع يد القديس اليمنى وتعليقها في ساحة المدينة العامة**. وبالحيلة استردّ **يوحنا** يده المقطوعة مُتَذَرِّعًا بضرورة دفنها لتهدأ آلامه التي لا تطاق. فأخذها ودخل بها إلى بيته وارتمى عند **إيقونة لوالدة الإله** جاعلًا اليد المقطوعة على مفصله، وصلّى بدموع غزيرة لتردّها له **والدة الإله** سالمة. وفيما هو مستغرق في صلاته غَفَا، وإذا **بوالدة الإله** تتراءى له في الحلم قائلة: « **ها إن يدك قد عوفيت الآن، فاجتهد أن تُحقّق ما وعدت به بدون تأخير**». فاستيقظ **يوحنا** من النوم ليكتشف أنّ يده قد عادت بالفعل صحيحة وموضع القطع ظاهر عليها كخط أحمر.

يُذكر أنّ سائحًا مرّ بدمشق في القرن السابع عشر ونقل ما يبدو أنه كان متداولًا في ذلك الزمان أنّ المعجزة قد تمّت بواسطة **أيقونة سيدة صيدنايا العجائبيّة**. **(أيقونة والدة الإله العجائبية هذه إنما هي في دير صيدنايا في جوار دمشق المشيّد لشرف مولد العذراء مريم الفائقة القداسة.)**

إثر الأعجوبة، كما ورد في التراث، حاول **الخليفة** استعادة **يوحنا** ووعده بإكرامات جزيلة، لكن **قديسنا** كان قد زَهَد في الدنيا وتشوّف إلى الحياة الملائكية. وقد ترك هو وأخوه بالتبني، قزما، دمشق ووجّها طرفيهما ناحية **دير البار سابا المتقدس**، بعدما وزّع أمواله على الفقراء والمحتاجين وصرّف سائر شؤون الدنيا.

يوحنا راهبًا:

كان **يوحنا**، في ذلك الزمان، رجلًا ذائع الصيت، لهذا استقبله رهبان دير القديس سابا بفرح، لكنهم خشوا أن يكون إقباله على الحياة الرهبانية مجرّد نزوة. ولما كانوا عارفين بعمق ثقافته العالمية فقد تردّدوا الواحد تلو الآخر في تحمل مسؤولية رعايته على السيرة النُّسكية. أخيرًا قَبِلَهُ شيخٌ جليل متقدم في السن. فلما أقبل يوحنا إليه بادره **الشيخ** بالقول: « يا ابني الروحي، أرغب إليك أن تقصي عنك كل فكر دنيوي وكل تصرّف أرضي. اعمل ما تراني أعمله، ولا تتباه بعلومك. إنَّ العلوم الرهبانية والنُّسكية لا تقلّ أهمية عنها، لا بل تعلوها مقامًا وفلسفة. أَمِتْ ميولك المنحرفة وتصرّف بخلاف ما يرضيك، ولا تُقْدِمْ على عمل دون موافقتي وطلب نصيحتي. لا تراسل أحدًا. إنسَ العلوم البشرية التي تعلمتها كلها ولا تتحدّث عنها مطلقًا». فسجد له يوحنا وطلب صلاته وبركته ليكون **لله** على ما ذكر مُعِينًا.

سَلكَ **قديسنا** في ما وعد به بكل غيرة وأمانة إلى أنْ رغب معلمه في امتحانه يومًا ليرى مقدار تمسكه بنذر الطاعة، فقال له: « يا ولدي الروحاني، قد بلغني أن عمل أيدينا الذي هو الزنابيل مطلوب بدمشق. وقد اجتمع عندنا منها شيء كثير. فقم اذهب إلى مدينتك وخذها معك لتبيعها وتحضر لنا ثمنها لاحتياجنا إليه في النفقة». فحمّله إياها ورسم له ضعفي ثمنها لئلا يتيّسر له بيعها بسرعة. فلما خرج أرسل له **الرَّبّ** راهبين آخرين منطلقين إلى دمشق فساعداه على حمل الزنابيل. ولما وصل إلى السوق لم يصادف من يشتريها منه لغلاء ثمنها. وفيما هو جائل حائر في أمره، رآه بعض خدمه ممن كانوا له في العالم، فعرفوه ولم يعرفهم، فرقّوا له وأخذوا منه زنابيله بالثمن الذي طلبه. فعاد يوحنا إلى معلمه وقد ظفر بإكليل الغلبة على **شيطان الكبر والعظمة**.

وحدث مرة أن رقد **بالرَّبّ** أحد الشيوخ الرهبان وكان جارًا ليوحنا، فحزن أخوه في الجسد عليه حزنًا شديدًا، وكان هو أيضًا راهبًا. فجاء إلى يوحنا وسأله أن ينظم له طروبارية تُسَلِّيهِ عن غمّه، فاعتذر يوحنا لأنه لم يشأ أن يخالف الشيخ معلمه في ما وضعه عليه. لكن الراهب أصرّ بالقول: «ثق أني لن أبوح بها ولن أرتلها إلَّا وأنا وحدي». وظلّ عليه حتى أخرج له طروبارية. وفيما كان يلحّنها، أدركه معلمه الشيخ فقال له: «أبهذا أوصيتك؟! هل أمرتك أن تزمّر أم أن تنوح وتبكي؟!». فأخبره يوحنا بما جرى له وسأله الصفح فامتنع قائلًا: «أنك منذ الآن لا تصلح للسكنى معي، فانصرف عني بسرعة». فخرج قديسنا من عند الشيخ حزينًا وحال على الرهبان يتوسّط لديهم. فلما أتوا إلى الشيخ سألوه أن يسامحه فأبى، فقالوا له: «أما عندك قانون تؤدبه به لتصفح عنه». فقال: «أجل، إذا ما حرّر مستخدمات (مراحيض) مشايخ الرهبان وَنَظَّفَهَا»، فانصرف الآباء من عنده مغمومين لأنه لم يسبق لهم أن سمعوا بقصاص كهذا. فلما أتوا إلى يوحنا، استوضحهم الأمر فأجابوه، بعد لأي، بما قاله لهم الشيخ. فقام لتوّه قائلًا: «هذا الأمر سهلٌ فِعْلُهُ عندي، مُتيسر عليَّ». ثم أخذ قفة ومجرفة وبدأ بالقلّاية الملاصقة لقلّايته. فلما بلغ الشيخ ما صنعه تلميذه بادر إليه على عجل وأمسكه بكلتا يديه وقبّل رأسه وعينيه وقال له: «ثِق يا بني لقد أكملت الطاعة وزدت عليها وليست بك حاجة بعد إلى أكثر من ذلك، فهيَّا إلى قلايتك، على الرحب والسِعَةِ».

ومرّت أيام ظهرت بعدها **والدة الإله القدّيسة** لمعلم يوحنا في الحلم وقالت له:« لماذا، أيها الشيخ، تمنع الينبوع عن أن يفيض ويجري؟! فإن تلميذك يوحنا عتيد أن يجعل كنيسة المسيح تتألّق بأقواله، ويزين أعياد الشهداء وكافة القديسين بترنيماته الإلهية، فأطلقه...لأن الرُّوح القُدُس المعزي يجري على لسانه». فلما أطل الصباح قال الشيخ لتلميذه: «يا ابني الحبيب الروحاني، إذا ما حضرك منذ الآن قول تتكلم به فلا مانع يمنعك، لأن الله سبحانه يرضاه ويهواه. فافتح فمك وقل ما تلقنك إياه النعمة الإلهية». من ذلك اليوم صار **القديس يضع القوانين الليتورجية والاستيشيرات والطروباريات وسواها**. ربيبه في عمله هذا كان أخاه بالتبني قزما. ويبدو، كما يؤكد كاتب سيرته، أنَّ المحبة الإلهية كانت وافرة بين الاثنين، وأنه لم يعرض لهما أن غلبهما **الحسد** مدة حياتهما.

يوحنا كاهنًا وواعظًا ومعلمًا:

يستفاد من أخبار **القدّيس يوحنا** أنَّ **بطريرك أورشليم** استدعاه بعد سنوات من حياته الديريَّة، ثبت خلالها في الاتضاع والطاعة، وسامه كاهنًا رغم تمنّعه. فلما عاد إلى الدير زاد على نُسكه نُسكًا.

يذكر أن يوحنا تلقى العلوم المقدّسة لا في دمشق بل في الدير، ولدى **بطريرك أورشليم** أيضًا. هو نفسه ذكر أن معلميه كانوا من رعاة الكنيسة.

منذ ذلك أصبح **يوحنا** واعظ المدينة المقدسة، يقيم في ديره ثم يخرج إلى أورشليم وهي قريبة، ليتمّم خدمته في كنيسة القيامة. وقد بقي لنا من مواعظه تِسْعٌ امتاز فيها بالبلاغة والإبداع وقوة المنطق واقتدار الحجة وَغِنَى العقيدة.

وإلى جانب الكهانة والوعظ اهتم قديسنا بالتدريس. وثمة ما يشير، في تآليفه العقائديَّة والجدليَّة، إلى أنَّ بعضها على الأقل دروسًا شفهيةً التقطها الكتّاب ودوّنوها.

إسهامه الكنسي:

هناك أربعة مجالات كنسية أساسيَّة كانت **للقديس يوحنا الدمشقي** فيها إسهامات جليلة جزيلة القيمة:

الأول عقائدي. للقديس له بضع مؤلفات أهمها كتاب «ينبوع المعرفة» الذي يشتمل على ثلاثة أبواب، أحدها فصول فلسفيَّة هي بمثابة توطئة للعرض اللاهوتي، وتحديدات لبعض الفلاسفة الأقدمين وآباء الكنيسة. يلي ذلك باب **الهرطقات** الذي هو عبارة عن توطئة لاهوتية تاريخية يتناول فيها **مئة وثلاثة تعاليم دينية زائفة وانتشارها**. وأخيرًا بيان الإيمان الأرثوذكسي الذي قسمه إلى مئة فصل أو مقال.

الثاني جدلي دفاعي. هنا كتب قديسنا ضد **هرطقات** زمانه كلها: «**النسطورية والطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة والمانوية وَبِدْعَةُ مُحَطِّمِي الأيقونات. كما وضع الخطوط العريضة لطريقة الجدل مع المسلمين وترك نبذة ضد الخرافات الشعبية**». أهم هذه الكتابات مباحثه الثلاثة الدفاعية ضدّ الذين **يرذلون** الأيقونات المقدّسة.

الثالث ليتورجي هنا يُعْزَى إليه إرساء أُسُس كتاب **المعزي** وتأليف العديد من الستيشيرات والبروصوميات والإذيوميلات والكاثسماتات والطروباريات والقناديق والقوانين الكنسية بالإضافة إلى دور أكيد في تحرير تيبيكون دير القديس سابا.

الرابع موسيقي. فيه نَظَّم ووضع قِسمًا كبيرًا من موسيقى كتاب المعزي ولحّن العديد من القوانين والطروباريات وساهم في وضع نظام العلامات الموسيقيَّة.

لاهوت الأيقونة عنده:

ولا بُدَّ من كلمة بشأن **دفاع القديس يوحنا عن الأيقونات لاهوتًا**. فالحقّ أن قديسنا هو الذي وضع الأُسُس اللاهوتية للدفاع عن إكرام الأيقونات، وهو ما تبنّته الكنيسة وبنت عليه عبر العصور. يستند لاهوت الأيقونة عنده إلى **ثلاث قواعد أساسية**:

† لا نقدر أن نمثّل الله حسيًّا لأنه روح محض، لكنّنا نقدر أن نمثّل **الرَّبّ يسوع المسيح ووالدة الإله** والقدّيسين وحتى **الملائكة** الذين ظهروا على الأرض بأجساد. فالكتاب المقدس لا يمنع تكريم الصور بل عبادة الأوثان.

† إنَّ **الإكرام** الذي نقدمه للأيقونات إنما نقدمه لأصحابها المرسومين عليها، لا إلى الخشب والألوان، وهو يرجع في كل حال إلى الله الذي هو مصدر كل خير في القدّيسين. ونؤكد كلمة «**إكرام**» لأننا نميّز بين الإكرام والعبادة التي لا تليق إلَّا **بالله** وحده.

† ثمَّ إنَّ لإكرام الأيقونات منافع جزيلة. فالصور ظاهرة إنسانية نذكر من خلالها نِعَم الله علينا، وهي بمنزلة كتاب للعامة تمدّ إليهم أسرار الله وإحساناته وحضوره، وتحرض على اقتفاء سِيَر القدّيسين.

رقاده:

أمضى **القديس يوحنا** ثلاثين سنة من عمره في **الدير**. ولعله لم يعد إلى دمشق خلال ذلك إلَّا مرَّة واحدة. كان رقاده بسلام في **الرَّبّ**، في شيخوخة مخصبة بالصالحات، أغلب الظن، بين العامين ٧٤٩، ٧٥٠ للميلاد. جمع في نفسه، على نحو متناغم، **قداسة الراهب وعمق اللاهوتي وغيرة الرسول وإلهام المنشد وموهبة الموسيقي**، فاستحق إكرام الكنيسة له جيلًا بعد جيل، أبًا ومعلمًا.

بقيت رفاته في الدير إلى القرن الثاني عشر حين جرى نقلها إلى القسطنطينية حيث أودعت كنيسة جميع القدّيسين القديمة بجانب **القديسَيْن يوحنا الذهبي الفم وغريغوريوس اللاهوتي**. يذكر أنَّ **اللاتين نهبوا** هذه الكنيسة **عندما دخلوا القسطنطينية** سنة ١٢٠٤ م. كما **هدمها الأتراك** سنة ١٤٦٣ م.

وقد أعلن المجمع المقدس السابع (٧٨٧م) **قداسة يوحنا** واعتبره «بطل الحقيقة».

فبشفاعات القديس يوحنا الدمشقي أيُّها الربّ يسوع المسيح الهنا، ارحمنا وخلصنا. آمين.

العذراء ذات الثلاث أيدي Τριχερούσα:
دير خيلانداريُّو Ιερά Μονή Χιλανδαρίου

ارتبطت هذه الأيقونة بسيرة **حياة القديس يوحنا الدمشقي**. تعود هذه الأيقونة إلى القرن الثامن الميلادي عندما تَسلَّم الحُكم في القسطنطينية **الملك لاون** الذي **أنشأ حربًا ضدّ** الأيقونات المقدسة، فأمر برفعها من الكنائس وأخذ يضطهد المؤمنين المستقيمي الرأي الأرثوذكسيين الذين كانوا يؤدّون الإكرام الواجب لهذه الأيقونات.

سمع **القديس يوحنا** وهو في مدينة دمشق عاصمة **الدولة الأموية**، بهذه الموجة العنيفة ضدّ الكنيسة، وكان حينئذٍ علمانيًّا يشغل منصب وزير الخزينة لدى **الدولة الأموية**. وكان اسمه **المنصور بن سرجون**. فانبرى للرَّد على كل من يهاجم الأيقونات المقدسة متهمًا إياه **بالهرطقة**، وبأنه **يحارب تجسد ابن الله من العذراء، وتألُّه البشر بالنعمة الإلهية**. واعتمد كثيرًا على قول **القديس باسيليوس الكبير**: «إنَّ إكرام الأيقونة يعود إلى عنصرها الأول».

ولما وصل الخبر إلى **الملك كارِه** الأيقونات، أراد أنْ ينتقم من **القديس يوحنا** فلجأ إلى الغشِّ والخداع. فدعا إليه بعض الخطاطين ليقلدوا خط **القديس** برسالة **مزورة ملفّقة**، وكأنها على لسان **القديس** موجَّهة **للملك لاون**، وفيها يعرب **للملك** بأنه مستعد للتعاون معه **ضدّ الخليفة الأموي وأنْ يسلم له مدينة دمشق**. وبعد ذلك أرسل **الملك لاون** إلى **الخليفة الأموي الرسالة المزورة** مع رسالة أخرى يكشف فيها خداع وخيانة المنصور له.

لما تَسلَّم **الخليفة** هاتين الرسالتين أسرع باستدعاء المنصور (**يوحنا**)، فأراه **الرسالة المزورة** قائلًا له: «أتعرف يا منصور هذا الخط ومن كتبه».

فأجاب **القديس**: «أيها الأمير كأن الخط مشابهًا لخطي وهو ليس خطي وألفاظه ما نطقت بها شفتاي ولم أرَ هذا الكتاب إلَّا في هذه الساعة الحاضرة».

لم يصدقه **الخليفة**، فأمر بقطع يده اليمنى. تَمَّ تنفيذ الحكم في الحال وعلّقت يده المقطوعة في وسط مدينة دمشق.

الخليفة الأموي يأمر بقطع يد القديس يوحنا الدمشقي

عند المساء أرسل **يوحنا** إلى **الخليفة** طالبًا منه أن يهبه يده المقطوعة. فأَذِنَ له **الخليفة** بأخذها. أخذ **القديس يوحنا** يده المقطوعة وعاد إلى بيته وصعد إلى عليته (مكان صلاته) التي كانت فيها هذه الأيقونة. وضع يده على الأيقونة وارتمى أمامها مُصَلِّيًا بخشوع ودموع كي يكشف **الله** براءته من هذه التهمة، وأنْ يشفي له يده كتأكيد لبراءته وكذلك تشفّع إلى **السيدة العذراء**، إلى أن تعب فنام.

وإذا **بالسيدة العذراء** تظهر له في الحلم قائلة: «قد شفيت يدك التي ستكون قلم كاتب سريع الكتابة». وأخذت اليد عن الأيقونة ووضعتها مكانها، فعادت كما كانت، فاستيقظ **القديس** معافى اليد وأخذ يصلي شاكرًا **الله وأمه الفائقة القداسة**. وللشهادة على قطع يده بقي موضع القطع **كالخيط الأحمر**.

ويقال أنه بعد نهوضه من النوم أنشد في الحال ترنيمة « **إنَّ البرايا بأسرها تفرح بِكِ يا ممتلئة نعمة ...**».

في الصباح ذاع صيت هذا الشفاء العجيب في دمشق كلها. وبلغ إلى مسمع **الخليفة**. فجاء الوشاة إليه قائلين بأنَّ **يوحنا** لم تُقطع يده، بل أنه أعطى أحد عبيده أموالًا كثيرة كي تقطع يده عنه. فاستدعى الخليفة **القديس** ليستمع منه الدفاع، فأراه **القديس** علامة القطع التي بقيت كالخيط الأحمر. استغرب **الخليفة**، وسأله بدهشة عن الطبيب الذي أعاد له يده كما كانت. فأخبره **يوحنا** عن الأعجوبة التي حدثت معه، فعرف **الخليفة بالخديعة** وبأنه حكم على **القديس ظُلمًا**، فطلب منه المسامحة والمعذرة وأعاد له كرامته السابقة كوزير. ولكن **القديس** الذي كان قد عاهد نفسه على ترك الحياة الدنيويَّة، والتفرغ **للحياة الملائكية**، طلب من الخليفة أن يأذن له بترك كل شيء كي يتفرغ **لربِّه**. فحزن **الخليفة** على خسارته **يوحنا** كصديق ووزير، ولكنه أذعَنَ أخيرًا لرغبة يوحنا.

ذهب **القديس** إلى بيته، وباع ماله ووزعه على الفقراء، وذهب متوجهًا إلى فلسطين حيث التجأ إلى **دير القديس سابا المتقدس** ولم يأخذ معه سوى هذه الأيقونة المقدسة. وقد صاغ **القديس** معصمًا من الفضة ووضعه على هذه الأيقونة شكرًا منه على شفائه العجيب وتذكيرًا به. **(انظر المعصم من الفضة في أيقونة والدة الإله)**.

بقيت هذه الأيقونة في **دير القديس سابا** من منتصف القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر حين زار **القديس سابا** رئيس أساقفة صربيا الدير، فقُدِّمت له هذه الأيقونة المقدسة كبركة له فحملها معه إلى صربيا.

عند **احتلال الأتراك لبلاد صربيا**، أخذ الأرثوذكسيون هذه الأيقونة وربطوها على حمار وأُطلق فيما بعد على هواه بلا قائد ولا مرشد له. وكان إيمانهم بأن **الله** سيعتني بهذه الأيقونة ويوصلها إلى مكان أمين. وهكذا كان الأمر. فوصل الحمار إلى **جبل أثوس** ووقف عند باب **دير خيلاندار (فم الأسد) (وهو دير للرهبان الصرّب)**. فتلقى الرهبان هدية **والدة الإله** هذه بابتهاج، وحملوها إلى هيكل الكنيسة الكبرى.

في بدء القرن السابع عشر توفي **رئيس الدير** فاجتمع الرهبان لينتخبوا خليفة له. فاختلفوا فيما بينهم وحصل **اضطراب وانشقاق**. وفي أحد الأيام أثناء صلاة السَّحَر رأوا **الأيقونة** على كرسي الرئيس في وسط الكنيسة فأرجعوها إلى الهيكل ظانين بأنَّ خدام الكنيسة هُم الذين وضعوها. ولكن هذه الحادثة تكرَّرت مرات عدة، إلى أن ظهرت **السيدة العذراء** لأحد النُّساك وقالت له: «**من اليوم أنا سأكون رئيسة للدير كي لا يحصل فيما بينكم الشقاق والخصام بسبب انتخاب رئيس جديد**».

ومن ذلك الحين إلى اليوم لا تزال الأيقونة قائمة على **مقام الرئاسة** وسط **الكنيسة**. فلا يُنتخب رئيسٌ لهذا الدير، وإنما يسوسه ويدبر أعماله كاهن راهب في وظيفة وكيل.

نعيّد لها في ١٢ تموز

الطروبارية باللحن الأوّل:

قَد بَدَت أيقونتُكِ ذاتِ الأيدي الثَّلاث مَصدَرَ أشفيةٍ جَمَّةٍ للمرضى يا طاهرة إذ تُنهي ضَعَفَاتٍ كَأَدْاء مع كلِّ الأخطار والأحزان. أما نحن الحاصلينَ على الشفاء، فنهتفُ بكِ بورعٍ إفرحي يا فائقة النَّقاء، إفرحي يا طيبةً، إفرحي يا سورَ المؤمنين يا أمَّ الله القدُّوس.

المراجع:

فياض، اسبيريدون (الأب). أيقونات السيدة العذراء العجائبية في الجبل المقدس، منشورات مطرانية اللاذقية وتوابعها للروم الأرثوذكس، اللاذقية– سوريا، ٢٠٠٠.

«كونوا رحماء كما أنّ أباكم السّماويّ رحيم» (لوقا ٦ : ٣٦)

لا تُميّز بين من يستحق المساعدة ومن لا يستحقها. ليكن كل الناس متساوين في نظرك تحبهم وتخدمهم. هكذا تأتي بهم كلّهم الى الخير. ألم يأكل الرَّبّ مع العشارين والزواني ولم يبعدهم عنه؟ هكذا أنتَ قدّم الخيرات والإكرام لغير المؤمن، للمجرم، لأنهم إخوتك في الطبيعة البشرية. إليكَ هذه الوصية يا بني: لتغلب الرحمة دائمًا في ميزانك حتى يأتي يوم تشعر في داخلك برحمة الله للعالم.

متى يعرف الانسان ان قلبه صار نقيًا؟ عندما يعتبر ان كل الناس صالحون ولا يرى (احدا غير طاهر وفاسد. عندئذ يصير نقي القلب) (متى ٥:٨).

ما هي هذه الطهارة؟ بكلمات قليلة هي رحمة القلب تجاه الكون كلّه. ما هي رحمة القلب؟ هي الشعلة التي تتّقد فيه من اجل كل الخليقة، البشر والطيور والحيوانات وكل المخلوقات. عندما ينظر الانسان اليها او يفكر فيها تمتلئ عيناه دموعًا ويَقطُر قلبه حنانًا ولا يحتمل بعد ان يصيبهم أيّ مكروه. لذلك تمتد الصلاة مع دموع كل الوقت، وتشمل كل الناس بمن فيهم الأعداء ليحفظهم الله وَيُـنَقِّهِمْ.

القديس إسحق السوري

السيدة كاترينا بيناكيُو، من بلوماري ٨١٢، في جزيرة ليسفوس (ميتيليني) في اليونان، تقول.

لديَّ مشاكل صحيَّة متواصلة في الامعاء، الأمر الذي جعلني أقوم بأجراء الفحوصات الطبيَّة اللازمة، فذهبتُ إلى مستشفى مار سابا لإجراء تصوير الأمعاء بالأشعة السينيَّة (X_ray) حيث تبيَّنَ أنَّ الأمعاء الغليظة (القولون) مليئ بالنتوءات (السلائل) ومع أنها أورام حميدة، إلَّا أنَّها خطرة للغاية لأنها ستتحوَّل إلى أورام سرطانيّة خبيثة.

أَقَرَّ الأطباء وبشكلٍ سريع تحديد موعد لإجراء العمليّة الجراحيّة، لاستئصال هذه الأورام. وقبل الخضوع للعملية، طُلِبَ مني اتِّباع بعض الإرشادات وتنفيذها بعناية، لكي أقوم بتفريغ الامعاء، وبالأخص تفريغ القولون من الفضلات، قبل الخضوع لفحصٍ بالمنظار. من المهم للغاية أن يكون القولون فارغًا لإجراء تنظير القولون. وإذا وُجِدَ براز بداخل القولون، فلن يتمكَّن الطبيب من رؤية السلائل (الأورام الحميدة بشكل نتوءات)، أو رصد أي مشكلات أخرى داخل القولون، وقد يتعيَّن عليَّ تكرار الفحص ثانيةً.

تمَّ تحديد موعد للعمليّة الجراحيَّة، قمتُ برشم علامة الصليب مع **زيت العذراء من دير ماليفي**، وكُلِّي ثقة وإيمان بأنَّ **العذراء** ستكون سريعة الاستجابة، وتمنحني الشفاء السريع لأنها رؤوفة وشفيعة حارَّة .

قمتُ بعمل فحص جديد وهو ما قبل البدء بالعمليّة، ويا لمراحم الله العظيمة، لقد اختفت كل هذه الأورام بالمرَّة ولم يعد لها مكان.

شكرتُ **العذراء مريم** بحرارة، وشكر عميق لهذه العجيبة التي منحتني إيَّاها **والدة الإله**، بواسطة الطِّيبِ المقدَّس من أيقونتها العجائبيَّة في دير ماليفي العامر للرُّوم الأرثوذكس في أركادِيًّا – اليونان .

كيف نقرأ الكتاب المقدَّس

الشيخ إميليانوس – دير سيمونوبترا في جبل آثوس

نقلتها إلى العربية الخورية جولي عطية عيسى

حين يقرّر أحدهم أن يدرس الكتاب المقدّس بطريقةٍ غير فعّالة وعقليّة، يخلق الكراهية والخلافات. لماذا؟ لأنّ المقاربة العقليّة للكتاب المقدّس لا تساعدنا على أن نلتفت **إلى خطايانا** ونفكّر فيها، بل تجعلنا نركّز على مشاكل ومفاهيم مرتبطةٍ بدراسة الكتاب، فتتحرّك قدراتنا المنطقيّة والعقليّة من دون أيّ هدفٍ حقيقيّ. «**المعرفة**» بحدّ ذاتها لا تضيف شيئًا، بل على العكس، تشجّع الفرد على التثقّف وتنمية رؤيته الخاصّة للأمور؛ تنمّي اكتفاءه الذاتيّ بآرائه الشخصيّة، فيسعى إلى تبريرها وفرضها على الآخرين. هذا النوع من المقاربة للكتاب يضعك فجأةً في صراعٍ مع الآخرين؛ فهو يجعل مشيئتك وآراءك تتعارض مع مشيئتهم وآرائهم، ما يدفعك إلى الاختلاف معهم ومجادلتهم ومعاداة إخوتكَ. عندما تملؤني آرائي الخاصّة حول الأشياء، أصبحُ غير قادرٍ على اقتبال أيّ شيءٍ من الله.

إنَّ الطريقة الصحيحة هي أن نقرأ الكتاب المقدّس ببساطة، وأنْ

نسمح لله بأن يقول لنا ما يريده بإلهامٍ أو إعلان. أن تقرأ الكتاب المقدّس بهدف جمع المعلومات شيءٌ، وأن تقرأه لأنّك تريد أن تقتني محتواه الحقيقيّ، أي الرُّوح القُدُس، شيءٌ آخر. هذا النوع من المعرفة هو **حياة الله** (يو ١٧ : ٣)، هو دخول الله إلى حياتنا وبسط يديه عليها؛ هو نزول الله وسكناه بيننا. يمكننا أن نميّز إذا ما كانت دراستنا للكتاب المقدّس أصيلةً أم لا، استنادًا إلى كميّة الدموع التي نذرفها خلال دراستنا. بالطبع، بإمكاني أن أقرأ الكتاب المقدّس من دون ذرفٍ للدموع ومن دون إحساسٍ قويّ بخطاياي، ولكن مع رجاءٍ بأنّ نعمة الله ستخترق قلبي القاسي عبر قراءتي للكتاب المقدّس. إذًا، اقرأ الكتاب لكن لا تنسَ **خطاياك**، ولا تحوّل الكتاب إلى موضوعٍ للبحث العقليّ، لأنّه سيتوقّف حينها عن أن يكون كلام الله، وستبدأ باعتباره أمرًا بشريًّا. يجب أن يكون معيار دراستك كالتالي: ينبغي أن تجلب قراءتك للكتاب المقدّس **السلام إلى قلبك**، والشركة مع الله، ومحبّة الأقرباء، والوعي **لخطيئتك**، أي أن تدرك كم أنّك غير مستحقّ وغير مستعدّ للوقوف أمام الله.

شهادة الكنيسة الأرثوذكسية في عالمنا المعاصر (١)

(بالمحبة، والحرية، واختبار حياة السكون)

† «إِنْ كُنْتُ أُبَشِّرُ فَلَيْسَ لِي فَخْرٌ، إِذِ الضَّرُورَةُ مَوْضُوعَةٌ عَلَيَّ» (١كو ٩: ١٦).

صورةُ عالمنا المعاصر الذي تُدعَى **الكنيسة الأرثوذكسيَّة** لتشهد له عن **إيمانها وعقيدتها وروحانيتها**، إنما هو **عالمٌ معقَّدٌ**. ففيه من الأسباب العنصريَّة والقوميَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة والثقافيَّة والاقتصاديَّة والأسباب الأخرى التي تفصل البشر بعضهم عن البعض، بل وكثيرًا ما تخلق حواجز تجعل الحوار والشهادة للحقِّ مَهَمَّةً صعبةً.

ومن الناحية الدينيَّة، نجد أنَّ الشعوب تنقسم إلى نوعَيْنِ رَئِيسِيَّيْنِ: مسيحيين وغير مسيحيين. ولكن الحدَّ الفاصل بين المسيحيين وغيرهم ليس دائمًا واضحًا، وذلك بسبب **تأثير الدنيويات** على المسيحيين. فضلًا عن أنَّ **مظهر المسيحية المأساوي، هو انقسامها إلى طوائف عديدة متباينة**. بالإضافة إلى أنه لا تزيد نسبة **عدد الأرثوذكسيِّين بين المسيحيين** عن **٢١٪**. **فالأرثوذكسيَّة**، إذن، مدعوَّة لأن تقدِّم شهادتها **وسط العالم المسيحي المُنقسم**، من ناحية؛ **ووسط شعوب العالم ككل**، من ناحية أخرى.

الشهادة الأولى: الثالوث الأقدس والمحبة

شهادة **الأرثوذكسيَّة** أساسها هو **الثالوث الأقدس** الذي استُعلِن للإنسان في **المسيح** لأجل خلاص وتجديد **حياة الإنسان**. ولا نَنسى أنَّ هذه الشهادة كانت **مختفية تقريبًا** وسط المجال التبشيري في الألفية الثانية لأسباب تاريخية وغيرها.

ولكن، ما هي الحقائق التي يمكن **للأرثوذكسيَّة** أن تُقدِّمها للمسيحي ومجتمع عصرنا الحاضر؟ ما هي الأمور الجديدة والعتيقة التي يمكن أن تُخرجها **من كنزها** للمسيحيين الذين هم **خارج** حدودها وللبشرية بصفة عامة؟

شهادة المحبة:

أول وأعظم شهادة أساسية **للأرثوذكسيَّة** مدعوَّةٌ لتقديمها **لعالم اليوم المنقسم والذي تتغلّب عليه النزاعات**، إنما هي شهادة المحبة. والمقصود من ذلك، الشهادة **لله** نفسه، لأنَّ «**الله محبة**» (١يو ٤: ٨و١٦). فمن البَيِّنِ والجَلِيِّ أنَّ هذه الشهادة هي المسئُوليَّة المشتركة للمسيحيَّة ككل، وليس **للأرثوذكسيَّة** وحدها. فما يجب ملاحظته هنا هو أنَّ **الإيمان الصحيح بالله** في الأرثوذكسيَّة يقود أيضًا إلى الرؤية الصحيحة بخصوص المحبة. وبالتالي، فإنَّ الشهادة الأرثوذكسيَّة عن المحبة تنطوي على قيمة وأهمية خاصة للعالم الحاضر.

المحبة الحقيقيَّة التي تُعبِّر عنها الشركة بين **أقانيم الثالوث الإلهي**، علامتها المميزة هي **عدم الأنانية**، لأن كل أقنوم في الحقيقة إنما هو **إله كامل** بحسب الجوهر، وبالتالي فإن شركة المحبة بين الأقانيم الثلاثة يجب أن تُفهَم بأنَّ الغرض منها ليس إشباع حاجة كل أقنوم على حِدة؛ بل بالحرِيِّ أنها تعبير عن ملء الشركة **غير الأنانية** بين **الأقانيم الثلاثة**. إنَّها طاقة محبة فيَّاضة بلا حدود! لقد تحوَّلت سقطة الإنسان، بواسطة **حُبِّ الله**، لتصير هي نقطة البداية لتجديده ومشاركته في الطبيعة **الإلهية**! وبالتالي فإنَّ المحبة المسيحيَّة يمكنها أن تهزم **شرَّ العالم والشيطان**، وتُحوِّل عثرات الإنسان المعاصر إلى فُرص جديدة.

الشهادة الثانية: الإيمان والرجاء والحريَّة الحقيقيَّة

والواسطة التي بها يتخذ الإنسان حُب الله لإعلان المحبة بواسطة الفداء والتجديد ويتخذه لنفسه، لكي يصبح تابعًا لهذا الحُبّ وبالتالي شاهدًا له بين الناس؛ إنَّما هما **الإيمان والرجاء**. فالإيمان يستلزم **الرجاء**، والرجاء يظل بلا سند بدون **الإيمان**. فالذين يؤمنون **بالله** هم الذين لهم رجاء (٢كو١٠: ١٥)، في حين أنَّ الذين **لا** يؤمنون **بالله** هم الذين **لا رجاء لهم** (أف٢: ١٢).

والكنيسة الأرثوذكسيَّة تتمسَّك بأنها تُحافظ على الإيمان الحقيقي والرجاء اليقيني، أي الاعتقاد الصحيح بخصوص **الله** الذي سبق أن رآه **الأنبياء** وعلَّم به **الرُّسل**، وتقبَّلته **الكنيسة**، وأعدَّ **الآباء** صيغته، وقَبِلَه العالم. **فالقديس غريغوريوس النيسي** يقول: «إنه لبرهانٌ كافٍ على تعليمنا أنَّ لنا تقليدًا منحدرًا إلينا من الآباء، وقد صار كميراثٍ من الرُّسل وبواسطة القديسين الذين جاءوا بعدهم» (٢).

بالإيمان يقبل الإنسان حُبّ الله، كما استُعلِن في سرِّ التجسُّد، تجسُّد **ابن الله** في التاريخ؛ كما أنَّه **بالرجاء** يُنْتَظَرُ ظهوره المجيد مرَّة أخرى في الأزمنة الأخيرة.

فالإيمان والرجاء، إذ يشيران إلى بُعْدَيِ الزمن: الماضي والمستقبل، فهما يربطان الإنسان بِحُبّ الله الذي ظهر في العالم، وأيضًا الذي ينتظره العالم بآن واحد. وأنْ نعيش حُبّ الله في الزمن الحاضر كتعبير نشيط وفعَّال عن الإيمان والرجاء، فهذا يُشكِّل **الشهادة المسيحيَّة** لحضور الله بين الناس، ويُحوِّل الحاضر إلى مجال يُستَعلَن فيه حُبّ الله: «بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يو١٣: ٣٥)، وأيضًا: «إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَاللهُ يَثْبُتُ فِينَا، وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِينَا.» (١يو٤: ١٢).

الحبّ هو الحياة في الإيمان والرجاء في الدهر الحاضر، الذي توجد فيه الإمكانية لأن نعيش الحبّ **الإلهي**.

شهادة الحياة كذبيحة:

الشهادة لحبّ الله لا يمكن أن يُقدِّمها المؤمن كتعليم نظري، بل فقط كحياة وذبيحة. فباعتبار أن شهادتنا حياة، لابُدّ أن تكون مؤسَّسة **على القيمة الحقيقيَّة للإنسان** أمام الله، والتي قدَّمها **المسيح** للعالم. وباعتبار هذه الشهادة ذبيحة، فهي تتحقَّق في التشبُّه بذبيحة **المسيح** والمشاركة فيها.

فالإنسان يمكنه فقط بمشاركته في حياة **المسيح** وموته وتشبُّهه بهما، أن يتغلَّب على الخوف **من الفساد والموت**، وأن يغرس حُبًّا حقيقيًّا تجاه الآخرين.

والقديس باسيليوس الكبير يقول: « لا يوجد إنسان يمكنه أن يُحقِّق كمال الحبّ، إلَّا فقط بخلع الإنسان العتيق الذي حطَّمته الشهوات الخادعة، ثُمَّ **لبس الإنسان الجديد** الذي استُعيد إلى صورة الخالق» (٣).

المحبة الحقيقيَّة تتطلَّب **إماتة الذَّات**، وقبول هذه الإماتة باعتبارها الطريق إلى الحياة. فالحياة للمسيحيّ ليست هي الحفاظ على تأدية الوظائف العضويَّة الشخصيَّة؛ بل بالحريّ التفوُّق عليها، وارتباطها **بينبوع الحياة** الشخصيَّة غير الفانية التي هي الله، كما يقول **القديس غريغوريوس اللاهوتي**: «حياة واحدة شاخصة في الحياة (الحقيقيَّة)» (٤).

إنَّ الله هو، بآنٍ واحد، ينبوع **الحياة**، وينبوع **الحبّ**. لذلك فإنَّ المشاركة في حياة الله هي بالضرورة مشاركة في حبه! **والقديس إغناطيوس** يُعرِّف الإيمان بأنه بداية الحياة، وأن الهدف منه هو الحبّ (رسالته إلى أفسس ١٤: ١).

وحيث إنَّ الإيمان هو التعرُّف على حُبّ الله وقبوله، وبالتالي اختباره هذا الحبّ والتعبير عنه، فمن الطبيعي أنَّ كل ما في الحياة ينبغي أن يتطابق مع هذا الحبّ.

والعلاَّمة كليمندُس الإسكندري يرى أن الحياة في الإنسان هي: «معرفة الله، وتخصيص الحياة له، وحبُّنا له، وتشبُّهنا به» (٥).

وبالتالي يجب أن نضع في اعتبارنا أن افتداء حياة الإنسان ينبغي أن يتم بواسطة **إنكار الذَّات**. فالقديس **باسيليوس الكبير** يحثُّنا بقوله: « الأمر الذي يكون بالإجبار، اجعله طوعيًّا. فلا تستبقِ (لنفسك) حياة تستلزم إنكار الذَّات» (٦).

الرهبنة كمَثَل أعلى للمحبة والإيمان والرجاء:

هذا هو الاتجاه الذي تحرَّكت فيه **الكنيسة** من خلال **قديسيها وشهدائِها**. وقد تبع هذا الاتجاه المتين **الرهبان والنسَّاك** في الأوقات السلاميَّة للكنيسة، بالصبر، وبشهادة الضمير، وبالموت عن العالم. **والأرثوذكسيَّة** التي احتفظت بمنهج الحياة الرهبانية كمَثَل أعلى للحياة الاجتماعية، ظلت دائمًا مُخلِصة لهذا الاتجاه.

وتفضيل **كنيسة الرُّوم الأُرثُوذكس لإبادة الإمبراطورية البيزنطيَّة على إنكار إيمانهم الأرثوذكسي** (٧)، إنما هو مثال لمكانة هذه الرؤية. وذلك فضلًا عن **أنَّ إيمان كنيسة الرُّوم الأُرثُوذكس** الذي لا يهتز بخصوص الاستمرار الأبدي لميراثهم الروحي، يشهد كيف أنهم يمكنهم أن يقبلوا الموت على أنه هو الحياة في **الرَّبّ**. **(أنظر شروط البابا من الرُّوم)**.

الأرثوذكسيَّة اليوم، ولا سيما الرهبنة **الأرثوذكسيَّة**، كحياة إماتة وقبول للموت المؤدِّي إلى الحياة؛ إنما هي المؤشر الأكيد لطريق **إنكار الذَّات**. ولذلك فإن تفسير روح **الأرثوذكسيَّة**، ولا سيَّما روح **الرهبنة الأرثوذكسيَّة**، يُقدِّم نوع الشهادة الأكثر أصالةً للعالم المعاصر. وقد صار **للغرب** الآن مفهومٌ أفضل لأعماق **الرهبنة الأرثوذكسيَّة**، وهذا يمكن أن يكون إشارة هامة إلى إمكانيات الحوار اللاهوتي بين الشرق والغرب بعمق أكثر.

حب الله يحترم الحرية الإنسانية:

الحبّ الحقيقي هو ثمرة الإيمان، وعند المؤمن الحقيقي يدل على احترام حرية المحبوبين، لأن **حُبّ الله** للعالم في الحقيقة، ليس تعبيرًا عن الاحتياج، بل عن الحرية. فالعالم لم ينبثق من جوهر الله، بل من قدرته الحُرَّة الخلَّاقة. إنَّه «كُلَّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ» (مز١٣٥: ٦). والإنسان كصنيعة قدرة الله الخلَّاقة، هو ينتسب إلى الله من خلال قدراته الفعَّالة، أي مباشرةً وبصفة شخصية، وليس بواسطة **الجوهر** أو من خلال بعض الوسائط المخلوقة أو غير المخلوقة. وبالتالي، فإن العلاقة بين **الله والإنسان**، إنما هي علاقة شخصيَّة، لا تفرضها طبيعة مجهولة، ولا تُحتِّمها مشيئة **تُقيِّد** حرية الإنسان.

حُبّ الله لا يُقيِّد الحرية الإنسانيَّة، بل هو بالحريّ يفترض وجودها مُسْبقًا. فطاعة الإنسان الحُرّ **لله**، إنما هي شرط أساسي لقبول **الحبّ الإلهي** الذي يُستَعلَن له. بدون احترام الحريَّة الإنسانيَّة يبقى التدبير **الإلهي** كله غير مفهوم. ومع ذلك، فإنه في الحقيقة بدون عمل التدبير **الإلهي**، تصبح الحريَّة البشريَّة **ثقلًا** لا يُحتمل!

إنَّ الحقَّ الكامل بخصوص الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله يكمن في خالقه: **الله** ذاته. والإنسان يمثِّل هذه الصورة، **وبالله** يعيش الإنسان ويوجد. وعلى ذلك، فإن علم تقييم الإنسان يستلزم لاهوتًا صحيحًا. وعلى أساس **عِلْم اللاهوت الأرثوذكسي**، يمكن صياغة رؤى صحيحة للإنسان، ولحياته في العالم.

صورة الله في الإنسان هي على مثال الثالوث الأقدس:

بالإشارة إلى المفهوم الصحيح للشخصيَّة البشريَّة، فإن الرؤية الدقيقة للأقنوم في **الثالوث الأقدس** لها أهمية جوهريَّة. وبالتالي، فإن **التعليم الأرثوذكسي** بخصوص الأقانيم والعلاقات المتبادلة بينها، إنما هو شرطٌ للمفهوم الصحيح للشخصيات البشرية ومكانتها في المجتمع. فينبغي أن نُركِّز نظرنا على الوحدة والشركة بين أقانيم الثالوث **الإلهي**. وبدون اقترابنا من **الله** بالتمجيد والشكر – الذي هو من طبيعة **الأرثوذكسيَّة** – تظهر **أخطاء خطيرة وجوهرية** تؤثِّر إلى أقصى حدٍّ في الشهادة للعالم عن الحقّ المسيحي وعن الحياة المسيحيَّة.

إنَّ هدف **الأرثوذكسيَّة** هو دائمًا التغيير الداخلي للإنسان بواسطة نعمة **الرُّوح القُدُس** الفعَّالة في الكنيسة. وبهذا التغيير، تتحقَّق إمكانية التغيير الحقيقي للحياة الاجتماعية. والذين يتكلَّمون اليوم عن الحريَّة يتصرفون باسم الحريَّة بطريقة **أكثر تقييدًا** وبأنشطة غير إنسانية. إنَّ حريَّة كل إنسان ينبغي أنْ تتقيَّد بحرية غيره، وإلَّا فإنَّ تصرفاته لابُدَّ أنْ تضرَّ غيره والمجتمع كله. وهذه الحقيقة هي التي تجعل **الأرثوذكسيَّة مُلزَمة** أن تتكلَّم **للعالم المعاصر**.

الشهادة الثالثة: قيمة اختبار السكون الرُّوحي في حياتنا البشريَّة

والحبّ والحرية يتطلبان، ليس فقط العمل، بل وأيضًا الهدوء والسكون أو «الهيزيخيا Ησυχία » باليونانية، وهذا هو الأساس الثالث الذي يجب أنْ تشهد له **الأرثوذكسيَّة** للعالم الحاضر. فمعظم الناس يؤسِّسون حياتهم وتحقيق آمالهم على الحركة والنشاط. أما السكون فهو يُعتَبر، في نظرهم، علامةً على الكسل أو اليأس! ولكن الإنسان يحتاج إلى السكون الفعَّال الذي يتعمَّق فيه في داخل نفسه، وبذلك يتجنَّب أنماط العزلة عن العالم، أو الاستعباد له مما يُسبِّب النفور منه. **(الهدوئيّة وهي نمط حياة آخر، تقيَّد به نُسَّاك جبل آثوس في اليونان – حيث أثمرت هذه الحياة، العديد من كبار القديسين الهدوئيين)**.

فالمسيحي يُدرك أن **عزلة** الإنسان إنما هي نتيجة حتمية لِمَنْ هو **متغرِّب** عن الله. لذلك فتجديد الإنسان لا يمكن تحقيقه بدون رجوعه إلى الله، وفي نفس الوقت فإن رجوعه إلى حياة الشركة مع الله يجب أن يتزامن مع تجديد حياته الطبيعيَّة. ولذلك يقول **القديس باسيليوس الكبير**: «إن عمل إلهنا ومخلِّصنا بخصوص الإنسان، يكمُن في تجديد حياته (أو إحيائه) من عُزلته، وتجديده وإعادته من التغرُّب عن الله، الذي يكمُن سببه في عدم طاعته المؤدِّية إلى الأُلفة معه. لأجل ذلك جاء المسيح في الجسد، حتى أن الإنسان – الذي خَلُصَ بواسطة التمثُّل بالمسيح – يتمتع بتلك البنوَّة الأصليَّة»(٨).

كما أنَّ **القديس غريغوريوس النيسي**، وهو يعتبر أن الإيمان والعلاقة بالثالوث الأقدس صفتان أساسيتان للوجود البشري الصحيح، قد لاحَظ أن عدم الإيمان والتمرُّد على حياة الشركة مع الله « هما إرباك للشخصيَّة البشريَّة، وتغرُّب عن طبيعة الإنسان الحقيقيَّة، وتشويه للعلامات المميِّزة للبشريَّة» (٩).

هذا السكون الفعَّال أو «الخصب» الذي يُراعيه المرء، ليس عن كسلٍ، بل بالعكس بالتيقُّظ والحيوية في الإنسان الباطن. هذا السكون يهدف إلى تحقيق تحرير الإنسان من كافة أشكال عُزلته **وعبوديته**، وذلك بإعادة اكتشافه ذاته، وإخضاعها **للمسيح!** فعندما ينكر المرء نفسه ويُخضعها **للمسيح**، يجد ذاته الحقيقيَّة ويُحقِّق شخصيته: «مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا.» (مت ١٠:

٣٩). هذا السكون الروحي، أو الهيزيخيا، ارتبط جدًا **بالرهبنة الأرثوذكسيَّة** التي تبدأ بالهروب من العالم، والانعكاف على الحوار الداخلي. ففي الحقيقة إن كُلًّا من الهروب من العالم، وسكون الحوار الداخلي، إنما هما شرطان للسكون الروحي (الهيزيخيا).

وكما يقول **القديس برصنوفيوس**، فإنَّ السكون الروحي هو حالة النفس الداخلية التي لا يمكن للإنسان أن يُحقِّقها « إن كان لا يتألم أولاً مع المسيح ويحمل جميع أثقاله» (١٠).

وكما يقول **القديس باسيليوس الكبير**، فإنَّ الهروب من العالم « لا يتم

بالمنظر الخارجي لهروب الإنسان من العالم؛ بل بالحري بنبذ ارتباط النفس بشهوات الجسد. وهكذا تصير بلا وطن، بلا بيت، بلا صديق، بلا ملكية، بلا حياة (دنيوية)، بلا تورُّط أو انهماك في شيء، بلا مقايضة، بنسيان التعاليم البشرية، وأنْ تكون (النفس البشرية) مستعدة إلى الأبد لأن تتقبَّل في القلب دفقات التعاليم الإلهيَّة» (١١).

تلك «الهيزيخيا» يمكن تحقيقها إلى حدٍّ ما في العالم، وفي وسط الضوضاء والتشويش الخارجي، فهي ليست محصورة في الحياة في البريَّة، بل إنها أيضًا يمكن أن يحصل عليها المؤمنون **وسط العالم**. إنَّ **التقليد الأرثوذكسي** ليشهد بتلك الحقيقة، لأنَّ **الكنيسة** لم تُفرِّق جوهريًّا بين أسلوب حياة الراهب، وأسلوب بقية المؤمنين.

ولكن **الحياة الرهبانيَّة** تُعتبر نموذجًا لحياة المجتمع المسيحي، وينبوعًا للإلهام للذين يعيشون في العالم. لذلك **فَالإنسان المعاصر** إنما هو في أشدِّ الاحتياج إلى السكون الرُّوحي حتى **لا تطغى عليه** مشاغل التقدُّم التكنولوجي ووسائل الإعلام التي أصبحت لا حدود لتقدُّمها المُذهل. ولذلك فقد ازداد اهتمام المفكرين **بكتابات الآباء النُسكيَّة وروحانيتهم العميقة، ولا سيما الشرقيين منهم!**

هذه الشهادة الثُلاثيَّة **للحب، والحرية، والسكون**؛ دُعِيَت **الأرثوذكسيَّة** – بصفة خاصة – لكي تُقدِّمها **للعالم المعاصر**. فينبغي أن تكون مسئُولية **الأرثوذكسيَّة** الأولى أن تُقدِّم هذه الشهادة للعالم، حيث إنَّ الكنيسة جامعة بطبيعتها.

وبالتالي يجب على **الأرثوذكسيَّة** قبل كل شيء أن توجِّه انتباهها للمسيحيين الذين هم خارج حظيرتها بروح المحبة الأخوية، وبمفهوم **القديس غريغوريوس اللاهوتي** القائل: «نحن لا نطلب أن نحرز انتصارات ؛ بل أن نقبل إخوتنا الذين بسبب انفصالهم عنا نعاني من محنة الانشقاق» (١٢) ؛ **وفي نفس الوقت يجب أن توجِّه الأرثوذكسية انتباهها للبشرية كلها، حيث إن شهادتها إنما هي شهادة لخلاص وتجديد جميع البشر!**

(*) مقتبس باختصار عن مقال: The Witness of Orthodoxy to the Contemporary World، الذي نُشر في مجلة: St. Vladimir, Vol. 17, 1973, p. 170، لمؤلِّفه George Mantzarides وهو أستاذ علم الأخلاقيات **في كلية اللاهوت – جامعة تسالونيكي باليونان**، وقد ترجمه عن اليونانية Dr. Stanley S. Harakas.

(2) B 45,653 Contra Eunom., I; PG.

(3) AB 29,392 PG ;44,2 Homily on Psalm.

(4) A 35,1041 PG ;18,42.Hom.

(5) 7 Quis dives salvetur.

(6) C 31,505 PG ;18,8 .Hom

(7) يقصد رفض الرُّوم (البيزنطيين) عرض البابا الروماني حماية الدول الأوروبية للرّوم الأرثوذكس أي لبيزنطة (القسطنطينية) بشرط أن يخضعوا لرئاسته، فكان الاحتلال العثماني للامبراطورية الرّومية وكل الشرق.

(8) CD 32,128 PG ;15,35 De Spir. Sancto.

(9) C 45,1320 PG ;15 Adv. Pneumatomachos.

(10) C 88,1813 PG ;3 Apokrisis.

(11) C 32,225 PG ;2,2 Epistle.

(12) B 36,440 PG ;41,8 .Hom..

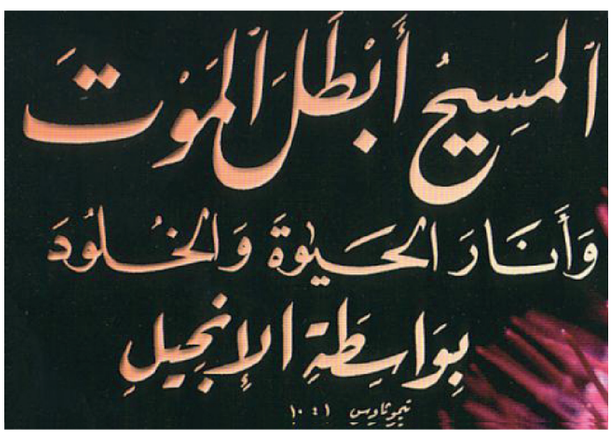

لماذا يجب أن نقرأ آباء الكنيسة:

إنْ كُنَّا نريد أن نقرأ الكتاب المقدس جيدًا، فلابُدَّ أنْ نقرأ **كتابات آباء الكنيسة وتفاسيرهم للكتاب المقدس**. ففي كل مجالات الأعمال الخلاَّقة يصير الرجوع إلى التقليد، أي إلى الذين سبقوا في إتيان مثل هذه الأعمال الخلاَّقة. فهذا هو السبيل إلى التفوُّق والأصالة. فالذين يتعلَّمون الموسيقى أو الرسم أو الكتابة أو النحت يعرفون أن إلمامهم بهذا الفن أو ذاك يستلزم أولًا الرجوع إلى فنون الأقدمين بالسمع أو بالقراءة أو الرؤية وتقليدها، وهذا هو الطريق إلى إتيانهم فيما بعد التفوُّق والأصالة في إبداعاتهم.

ونفس الأمر يمكن أن يُقال على الحياة الروحيَّة والأعمال اللاهوتيَّة. فكما أنَّه لكي نتعلَّم أنْ نفكر لابُدَّ من قراءة الأعمال الأدبية لكبار المفكِّرين، ومِن جعل أفكارهم تُكوِّن أفكارنا؛ هكذا لكي يجد المسيحي **هويَّته الحقيقيَّة** لابُدَّ له من الرجوع **إلى آبائه في العالم القديم**، حيث كان الصفاء في التفكير والصدق والأمانة في نقل التعليم الرسوليّ عن شخص **المسيح**.

وسنلاحظ أنَّنَا قد نجد **آباء الكنيسة** ونحن نقرأ لهم لأول وهلة أنَّهم يتكلَّمون بطريقة تختلف عن طريقتنا، ولكن **آباء الكنيسة** هؤلاء عندهم ما يُعلِّموننا به حقًا. وتتوقف قدرتنا على التعلُّم منهم، على رغبتنا في أن ننصت إليهم ونكتشف ما لا نعرفه اليوم من معرفة.

ورغبتنا في الإنصات **لآباء الكنيسة** يجب ألَّا تتأثر بما نتوقع أن نجده في تعليمهم. لذلك، يجب أنْ نَثِق في شهادة الذين سبقونا في اكتشاف **غِنَى التعليم الآبائي**.

لذلك فالإنصات إلى **آباء الكنيسة** مهمٌ ونحن نريد أن نعرف حقيقة إيماننا المسيحي، ولكن بعضنا قد يتسرَّع ويُعلِّم الآخرين قبل **أن ينصت ليتعلَّم**، فيخرج تعليمه **مبتورًا أو فاسدًا أو مُفسِدًا** لأذهان الآخرين.

لذلك ينصحنا **القديس أمبروسيوس** (أسقف ميلان في القرن الرابع):

﴿هناك مُعلِّمٌ واحدٌ فقط الذي لم يتعلَّم أبدًا ما علَّمه للجميع (وهو **المسيح**). أمَّا الناس فيجب أن يتعلَّموا أولًا ما سوف يُعلِّمون به الآخرين، وينالوا من هذا المعلم الواحد ما سوف يُعلِّمون به الآخرين. والآن ما الذي علينا أن نتعلَّمه قبل أي شيء إلَّا بأن نصمت حتى يمكننا بعد ذلك أن نتكلَّم بعد أن نتعلَّم من **المسيح**؟ من النادر أن يصمت الإنسان، فإذا تكلَّم فإنه يخطئ كثيرًا﴾ – **القديس أمبروسيوس** (١).

إن الإنصات ليس بالأمر السهل. وكثيرًا ما نُجاهد لكي نتغلَّب على شكوك عويصة، أو نتصرف سريعًا لتصحيح ما نعتبره خطأ. لابُدَّ أنْ نُطَوِّع أنفسنا على استعمال كلمات جديدة، وطرق جديدة، ومفاهيم جديدة، والعاقبة لابُدَّ ستكون ثمينة. ولا شكَّ أنَّ رجوعنا إلى **آباء الكنيسة** يحتاج إلى شيء من التواضع، وإلى أُذن صاغية، **وصلاة**. ومن الأفضل أن نتريث حتى نقرأ **الآباء** بدلًا من أن نترك **لغضبنا النابع من البرِّ الذاتي** أن يكون حائلًا أمام بصيرتنا الداخلية. فكلنا مُعرَّضون **للخطأ**. وكلنا نميل إلى **أنْ نتعامى عن ضعفنا** في أنْ نقرأ **الكتاب المقدس** صحيحًا. فكيف نفهم **الإنجيل** ونحن نستبعد عن أنفسنا ما علَّم به الأقدمون؟ إنَّنَا محتاجون بعضنا للبعض، قدامى كانوا أو حديثين، إنْ كُنَّا نريد أنْ نفهم **الإنجيل** حسنًا.

لقد كان **آباء البريَّة** حسَّاسين جدًّا للتواضع والشركة مع الآخر، إذا كان أحدهم يريد أن يفهم نصًّا في **الإنجيل**. وإليك هذا الخبر:

﴿حدَّثوا عن شيخ كان يحفظ الصوم إلى سبعين أسبوعًا، لا يأكل فيه إلَّا مرَّة واحدة فقط كل أسبوع. ومرَّة سأل **الله** بخصوص آية في الأسفار المقدسة، ولم يُعلِن له **الله** معناها. فقال لنفسه: «كم من التعب قد قاسيته ولم يكن بفائدة لي. أقوم الآن وأذهب إلى أخي

وأسأله عن ذلك». فخرج لِتَوِّهِ إلى الخارج، وأغلق الباب خلفه، وإذا **ملاك الرَّبّ** أُرسل إليه، قائلًا: « السبعون أسبوعًا التي صُمتَها لم تجعلك أقرب إلى **الله**. ولكن الآن لأنك اتضعتَ وقمت لتذهب إلى أخيك، فقد أُرسِلتُ لك لأشرح لك الآية التي تطلبها». وفتح ذهنه لِمَا كان يبحث عنه ومضى﴾ – كتاب **سِيَر الآباء** (٢).

وأحيانًا قد نجد **الآباء** غير مفهومين. وأحيانًا أخرى قد نتعجب، لماذا أنا لم أرَ هذه الآية في **الكتاب المقدس** من قبل؟ لماذا لم أتعلم هذا التعليم؟ لماذا كنتُ متعاميًا هكذا؟ ولكن **الآباء** كثيرًا ما سيقودوننا **إلى معانٍ جديدة تثير فينا التعجُّب والرهبة والتوقير الشديد لله والإنجيل**. وبسبب تأثير **الآباء** وصلواتهم وعبادتهم الصادقة **لله** سوف يصيرون رفقاءنا في دراستنا **للكتاب المقدس**.

وسوف يتضح لنا دائمًا **قصورنا** في الفهم الروحي، حينما نقضي أوقاتًا مع شخصيات من **الآباء** مثل: **القديسين يوحنا الذهبي الفم، وأثناسيوس الكبير، وجيروم (يرونيموس)، وغريغوريوس اللاهوتي، وباسيليوس الكبير، وأمبروسيوس، وغريغوريوس النيسي، وكيرلُّس الكبير، والمغبوط أغسطينوس**.

قراءة الكتاب المقدس وحياتنا الروحيَّة:

كانَ **آباء الكنيسة** يؤكِّدون دائمًا على العلاقة بين صحتنا الروحيَّة وبين قدرتنا على قراءة **الكتاب المقدس** جيدًا. **فالآباء** يوصوننا بأَنْ ندرس ونقرأ **الكتاب المقدس** في إطار العبادة، وتوقير **الله**، والقداسة. **الآباء** يعتبرون **الكتاب المقدس** كتابًا مقدَّسًا ينفتح لِمَن هم سائرون في سيرة القداسة من خلال نعمة وقوة **الرُّوح القُدُس**، مهما كانوا مبتدئين أو صغارًا في المعرفة، لأنَّ **الكتاب** نفسه سوف يُنميهم ويُدرِّبهم على الغوص في دُرَرِه وكنوزه.

وإليك هذا المثل من **تعليم الآباء**، في الكتاب المشهور «**تجسُّد الكلمة**» **للقديس أثناسيوس الكبير**، فهو يصمِّم على أنَّ:

﴿البحث في الكتاب المقدس وفهمه الصحيح يتطلبان حياةً صالحة ونفسًا طاهرة... فلا يمكن للإنسان أن يفهم تعاليم القديسين ما لم يكن له ذهنٌ نقيٌّ ويجاهد ليتمثَّل بحياتهم... فأي إنسان يريد أن ينظر أشعة الشمس فَلابُدَّ أن يغسل عينه أولًا لكي يمكنه إلى حدٍّ ما أن يكون أهلًا لنقاوة ما سوف يراه، وإذا رغب إنسان في أن يرى مدينة أو بلدًا فليذهب إلى المكان الذي يريد أن يراه. وهكذا، فكلُّ مَن يريد أن يفهم **ذهن الكُتَّاب القديسين**، عليه أولًا أن يُطهِّر حياته، ويقترب من القديسين بأنْ يقتدي بأفعالهم. وبهذا، فإنه حين يتحد بهم في شركة الحياة، فسوف يفهم ما قد أعلنه **الله** لهم، ثم سينجو من الهلاك الذي يتهدَّد الخَطأَةَ في الدينونة، وسوف ينال ما وُضع للقديسين أن يروه في ملكوت السموات﴾.

القديس أثناسيوس الرسولي (٣)

قراءة الكتاب المقدس والحياة الكنسيَّة:

كما أنَّ **القديسَيْن أثناسيوس وغريغوريوس اللاهوتي** كانا يَرَيَان أنَّ دراسة **الكتاب المقدس** يجب أن تكون في إطار **الحياة الكنسيَّة والتأهيل الروحي**. فالأسفار المقدسة قُدِّمت **للكنيسة** أصلًا، وهي تُقرَأ، ويُكرزُ بها من على المنبر، وتُسمع من المؤمنين، وتُفهم من داخل جماعة المؤمنين في الكنيسة، ثمَّ هي تُفسَّر تفسيرًا مضمونًا فقط من الذين تتميز حياتهم وتتأسَّس في دوام حياة الصلاة، والعبادة وفحص الذَّات والاعتراف وباقي الوسائط التي من خلالها تنسكب نعمة **الله** على جسد **المسيح**. وهذا يعني أنَّ **أي انفصال** بين الحياة الشخصيَّة والكنسية وبين دراسة **الكتاب المقدس**، سوف يكون **وبالًا** على أية محاولة لفهم **الكتاب المقدس**. هذه **النصيحة الآبائية بالصحة الروحيَّة والاتحاد بالكنيسة، مع قراءة الكتاب المقدس**، لابُدَّ أن نحفظها جيدًا.

ملحوظة: («جسد **المسيح**» هو تشبيه يستخدم كثيرًا في الإشارة **للكنيسة** في العهد الجديد)

(1) Patrologia Latina, 16, col. 29.7-23.2.5.

(2) Des Vitis Patrum, Liber V. Verba Seniorum, 72; PL 73,966ab.

(3) Athanasius, On the Incarnation, SVS, 1982, p. 96.

لم يُخطىء أحد سواي

كل الأمور تسير حسنًا لدَى الناس حين التواصل عبر الإنترنت، إرسال بريد إلكتروني، كتابة رسائل قصيرة للآخرين بخلال ثوانٍ معدودة... لكنهم أحيانًا عاجزون عن التواصل مع زوجاتهم وأولادهم. لقد أتلفنا بيوتنا. عندما نجد التحدّث مع الآخرين صعبًا علينا أن نَعِي أنَّ سبب المشكلة لا يكمن في الناس بل فينا. إنه خطؤُنا، لأننا لا نستطيع أن نجد النقطة التي نستطيع أن نلتقي فيها مع الآخرين ونحادثهم.

الميتروبوليت أثناسيوس مطران ليماسول، قبرص

الحكمة والحكمة

لا تحصروا تعليم أولادكم وتربيتهم بالحكمة المدنية، حكمة هذا العالم. ينبغي بهم، في الوقت عينه، أن يتعلّموا الحكمة التي من فوق وأسمى أشكال الحقيقة. يجب أن يتعلّموا ناموس الله ووصايا المسيح. يجب أن يتعلّموا كل التوقير الواجب والذكر الدائم لله والطريق المسيحيَّة الصحيحة.

حينئذ فقط لن يضيع أولادكم على طرقات الحكمة البشرية، وعندها فقط يتمسّكون بالحكمة الإلهيَّة فوق كل شيء وبمعرفة الله. هكذا ينبغي أن نربّي أولادنا.

القديس لوقا الجرّاح

«بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا.» (رو ١٢: ١٤)

وعليه بارك أيُّها المسيحي من يضطهدك! وإذا احتقرك أحدٌ فاذكر أنّك **من التراب والى التراب تعود**. فإنك إن حصّنت نفسك بمثل هذه الأفكار تجد كلّ عار **أصغر** من الحقيقة.

وعلى هذه الصورة لا تَدَعْ مجالًا **لانتقام العدوّ** لعدم اكتراثك لاضطهاده، وتحصل على الأكاليل بصبرك، وتحوّل جنون غيرك إلى أسباب تعود إلى حكمتك الخاصة.

لا تزِد حرفًا واحدًا من نفسك على كلام قريبك **الذي يشينك**، إذا قال قريبك أنك عديم الشرف فلا معنى لقوله أبدًا. **فاذكر أنّك تراب ورماد.**

وإن قال الآخر أنك جاهل فقير وغير مهذب فقلْ بلسان القديس مُرنِّم المزامير: «أنا دودة صغيرة ومصيري إلى الفساد.».

وإن حملتْك التجربة على شتم أخيك بالمسيح فتصوّر أنّ زمام أمرك في يدك إن شئت. فإمَّا أن تقترب إلى الله بالصبر وطول الأناة أو تستسلم لعدوك **بالحماقة والغضب**.

فلا تتسرَّع بل فَكِّر جيِّدًا حتى تختار الأفضل وتكون مثالًا بالوداعة لعدوك فينتفع منك. فهل من شيء أنفع له كرؤيته عدوه أعلى وأرفع من كل إهانة؟

إنَّ من **يضرب** إنسانًا **لا يشعر بالألم**، يقاصص نفسه، لأنه بهذا لا ينتقم من عدوه ولا يسكّن **حدَّة غضبه**. ومثله الذي يوبخ إنسانًا لا يؤثّر الكلام فيه.

فهو لا يروي حدته بل على العكس يكاد قلبه يتمزق من الغضب وإن لم تبادر إلى إهانة عدوك، فسرعان ما يقول الحاضرون: **إنه قَادِح سفيه**، وأنك كبير النفس. **إنه شرس احمق**، وأنك طويل الأناة ووديع فيندم على قوله. أما أنت فلا يمكن **أن تندم** على الفضيلة أبدًا.

أمَّا إذا كنت تقابل الإهانة بالإهانة انتقامًا من عدوك، فبماذا تُبرِّر نفسك؟

أتقول أنه أغاظك وهو الذي ابتدأ الخصام؟ فهل يستوجب قولك هذه المعذرة والصفح؟ إنَّ الزاني الذي يرمي الذنب على الزانية لأنها هي التي أغوته وجرّته إلى الإثم، لا يخفف اعتذاره هذا شيئًا من دينونته.

فلا أكاليل من دون جهاد ومقاومة ولا انتصار **بلا أعداء!** فإذا غضب عدوك منك، فيحق له هذا الغضب لأنه لم يرَ مثالًا صالحًا حكيمًا فيك!

إنك ترى **قُبح منظر الغضوب** ولا تحترس من تقليده والتشبه به، بل بالعكس تحذو حذوه وتتخذ حدَّتك عذرًا لك، فعملك هذا يوقع الذنب عليك ويبرِّر عدوك.

فإذا كانت **الحدَّة رديئة**، فلماذا لا تبتعد عنها؟ وإذا كانت تستوجب التساهل والمسامحة فلماذا تغضب ممن أغاظك؟ إنَّ القول أنك **ليس بأول منتقم**، لا ينفعك.

فالفائز بإكليل الظفر هو المتغلِّب **لا مَنْ بَدَأَ بالقتال**. وعليه لا يؤاخذ البادىء بالشرّ وحده بل **الذي يتبع إثم القائد الشرير**.

فإذا **عَيَّرَكَ عدوك** بأنك فقير، فاعتبر كلامه صِدقًا إنْ كان فقرك حقيقيًّا، وإن كان قوله كذبًا، فما لك وله!

ولا تفتخر بالثناء الذي هو أكثر مما تستحق، ولا تحزن من إهانة لا تخصّك!

ألَا ترى أنَّ السهام تخترق عادة **الأجسام القوية العنيدة**، وتضيع قوتها السامة في الأجسام اللينة المطاوعة، هكذا **الشتائم** تشبه ما ذكرنا، فإنها تقع على من يقاومها، ويلين شرها على من يطاوعها.

إنك إن غضبت **تثبت الشتائم لنفسك**، وإن لم تغضب تسبب العار للمعتدين عليك.

فبمثل هذه الحالة النفسيَّة الحكيمة تهدّىء اضطراب قلبك وثورانه وتسكن أفكارك. **لنترك الغضب** حتى في التجارب ولو كان آتيًا من السماء **لأجل الفساد البشري والكذب!**

إذا كُنَّا **نستأصل جذور الغضب المُرّة** بالتعقُّل والحكمة نتغلب على **قبائح كثيرة** في بدء ظهورها: **كالخداع والريبة والكفر والأخلاق السيئة والنيات الرديئة والوقاحة وكل ما يشبه هذا من الآثام المتفرّعة عن خطيئة الغضب.**

فلا تعطِ سبيلًا **للشيطان** ليقترب منك ويسد الطريق لدخول **الرُّوح القُدُس** إلى نفسك، لأنه حيث تكون **العداوة والغيرة والغضب** لا يكون روح الوداعة.

لكن، إذا تبعنا وصية **الرسول القديس** نطرح من نفوسنا **كل غضب وحدَّة وشَرّ**، ونتساهل بعضنا مع بعض، منتظرين الغبطة الموعود بها الودعاء. فطوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض كما قال سيدنا **يسوع المسيح** الذي له المجد والملك إلى دهر الداهرين. آمين.

إنَّ **التسبيح** هو قلب الصلاة في **الكنيسة**، بل نستطيع أن نقول إنه «نغمة الصلاة»، والذي من خلاله نُعبِّر عن الفرح **بالله**، والاعتراف بالفضل له، والتمجيد وتهليل القلب له، على أن يكون **التسبيح** تحت مظلة **النعمة**. **والتسبيح** بهذا المفهوم يمثل الطريق الملوكي الذي يوصِّلنا إلى الحرية المجيدة التي لأولاد الله.

ونلاحظ في **حَدَثِ الميلاد** – كما ورد في الأناجيل – أنَّ الرُّعاة لَمَّا أُخْبِرُوا بهذا **الميلاد** بواسطة **الملاك**، لم يتوانوا، بل ذهبوا ليروا الطفل **يسوع**، «ثُمَّ رَجَعَ الرُّعَاةُ وَهُمْ يُمَجِّدُونَ اللهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ» (لو٢: ٢٠). **فالتسبيح** هنا، انطلق من قلب بسيط فَرِح. وبساطة القلب هذه منحت أصحابها، وبصورة تلقائيَّة، أن يَصلوا إلى جوهر الحدث ويمجِّدوا الله، الأمر الذي كان من الصعب الوصول إليه لو أخضعوا ذواتهم **لسلطان العقل المادي وحده**.

فالعقل يريد دائمًا شرحًا لكل شيء، فهو دائمًا يحاول الوصول إلى غير المعروف دون أن يخرج من إطار المعروف، وهو أيضًا يحاول أن يوضح الجديد، ولكن فقط من خلال مُسلَّماته القديمة، وهو في ذلك يمنع عن صاحبه الوصول إلى عمق الحقائق الروحيَّة.

فالذي يريد أن يصل إلى العمق، وأن يختبر ما هو فائق عن الوصف، **عليه أن يهرب من سلطان العقل** الذي يربط كل الأمور بما هو **أرضي**، وبما يمكن التحقُّق منه بالحواس، وأن يهرب أيضًا من **محاولة إيجاد شرح منطقي** لكل ما يحدث حوله، وإنما بالحريّ يؤهِّل نفسه لاستقبال ما هو أسمى من الأرضيات، وذلك بتسليم الإرادة لله في بساطة وإيمان.

والعذراء مريم – على سبيل المثال – **ببساطتها وبإيمانها القوي**، استطاعت أن تُبعِد عنها **كل العوائق البشرية** التي يمكن أن تدمر فتاة في مثل حالتها، وهي بدلًا من ذلك قَبِلَت السِّرَّ في قلبها بإيمان كامل، ووفرت له تربة خصبة للنموّ، الشيء الذي مَكَّنها من استقبال **كلمة الله** بأحشائها والحياة معه بعد ذلك: «وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هذَا الْكَلاَمِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا» (لو٢: ١٩).

لذلك، فالتعامل مع **عالم مضطرب مائج** بكل ما هو مثير ليس بالأمر الخطر، طالما كان الإنسان يمتلك هدوءًا داخليًّا. أمَّا الذي يُفضِّل الهرب ليحصل على الهدوء، فهو لا يزال **طفلًا** (في الإيمان) لم يؤهَّل بعد لاستقبال «نعمة الله» من خلال **الضيقات والآلام**. وهذه النعمة هي التي تُحرِّر الإنسان داخليًّا، إذ بدونها يختنق الإنسان الجديد بداخلنا، ويصبح كل اتصال مع العالم من حولنا **اتصالًا كاذبًا تُغلِّفه المظاهر والمصالح**، الأمر الذي يُغرقنا في الماديَّة المائتة، ويقضي على حياتنا الروحيَّة والنفسيَّة بل والجسديَّة أيضًا !!

فالحفاظ إذن، على عالمنا هذا وتحقيق أعلى مستوى من الإنسانيَّة فيه لا يعتمد على قوانين ولا يتطلب توصيات، بقدر ما يحتاج إلى تربية وعي جديد برسالة الإنسان على هذه الأرض، وهذا الوعي لابُدَّ وأن يكون **إنجيليًّا** لكي نتحوَّل **من الأخذ إلى العطاء**، **ومن انتظار الحبّ** إلى **سَكْب الحبّ** على كل الخليقة، ومن تقييم كل شيء على أساس نفعي إلى التمتُّع بالكل كهبة من الله.

وإذا رجعنا إلى **حَدَثِ الميلاد** – مرة أخرى – والذي أوضح لنا كيف أن بساطة الرعاة قادتهم إلى الحقّ والتسبيح، نجد أيضًا أنَّ **المجوس الحكماء** كانت لهم أيضًا تأملاتهم الحُرَّة التي صعدت بهم إلى استقبال رسالة الله لهم. وحالة الحُرِّيَّة هذه التي كانت تلازمهم لم تجعلهم يرفضون فكرة «**الملك المولود في مذود**»، بل إنهم كانوا خاضعين بقلوبهم للعلم **الإلهي**، الشيء الذي جعلهم – وبصورة نبويَّة – يُقدِّمون الهدايا اللائقة **لملك الملوك وربّ الأرباب**، وهي **الذهب واللبان والمُر**. وهداياهم هذه كانت تُعدُّ تمجيدًا بل وتسبيحًا لله.

والتسبيح يخترق كل ثنايا الكتاب المقدس، فهو المحرِّك لكل «هللويا» من التي كان يقولها الشعب في مسيرته باتجاه أرض الميعاد، وهو أيضًا الذي كان ينظم المزامير والصلوات، سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد. لذلك **فالتسبيح** هو الذي يربط شعب الله بمختلف انتماءاته، ويوحِّدهم ويجعل لهم شركة، ليس مع السماويين فحسب، بل ومع كل ما يُحيط بهم من بشر وحيوان ونبات، بل والجماد أيضًا: «سَبِّحُوهُ يَا جَمِيعَ مَلاَئِكَتِهِ. سَبِّحُوهُ يَا كُلَّ جُنُودِهِ. سَبِّحِيهِ يَا أَيَّتُهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. سَبِّحِيهِ يَا جَمِيعَ كَوَاكِبِ النُّورِ. سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ. لِتُسَبِّحِ اسْمَ الرَّبِّ لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ، وَثَبَّتَهَا إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ، وَضَعَ لَهَا حَدًّا فَلَنْ تَتَعَدَّاهُ. سَبِّحِي الرَّبَّ مِنَ الأَرْضِ، يَا أَيَّتُهَا التَّنَّانِينُ وَكُلُّ اللُّجَجِ. النَّارُ وَالْبَرَدُ، الثَّلْجُ وَالضَّبَابُ، الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ الصَّانِعَةُ كَلِمَتَهُ، الْجِبَالُ وَكُلُّ الآكَامِ، الشَّجَرُ الْمُثْمِرُ وَكُلُّ الأَرْزِ، الْوُحُوشُ وَكُلُّ الْبَهَائِمِ، الدَّبَّابَاتُ وَالطُّيُورُ ذَوَاتُ الأَجْنِحَةِ، مُلُوكُ الأَرْضِ وَكُلُّ الشُّعُوبِ، الرُّؤَسَاءُ وَكُلُّ قُضَاةِ الأَرْضِ، الأَحْدَاثُ وَالْعَذَارَى أَيْضًا، الشُّيُوخُ مَعَ الْفِتْيَانِ» (مز ١٤٨).

التسبيح أيضًا يحمل جانبًا نبويًّا، فمِن خلاله نرى **نصرتنا على الموت**، ونرى ملكوت **المسيح** بقلوبنا، وبه أيضًا تنفتح بصيرتنا على الدهر الآتي، على السماء الجديدة والأرض الجديدة.

إنَّه الوسيلة العمليَّة للتحرُّر من **المظاهر الخادعة التي لعالم اليوم**. إنه أيضًا يُحرِّرنا من **سلبيات هذا العالم**، ويجعل منها بداية للانطلاق الرُّوحي، بل هو يأخذ قيمة أكثر إذا قُدِّم من وسط **ضيقات العالم**، إذ – حينئذٍ – نرى الهوَّة الشاسعة بين الأرضي والسماوي. **فالتسبيح** هو الطريقة التي بها ينكشف النقاب **عن الحسيَّات** لنرى الروحيَّات. إلَّا أنَّ التسبيح الحقيقي لا يعتمد على قوة الكلمات بقدر ما يعتمد على خبرة الإنسان بـ «الفرح الحقيقي»، على مثال الفرح النابع من رؤيتنا لشمس الربيع خلف الغيوم، وبالشفاء بعد طول المرض، وبالخصوبة بعد العقم. إنه فرح الحياة الأقوى **من الموت**.

العصر الحديث وتسبيح الفرح:

لقد ذكرنا أنَّ الإنسان الذي لم يَذُق طعم «الفرح الحقيقي» لا يمكنه أن يُسبِّح الله كما يجب، وذلك لأنه لم يصل بعد للشعور بعمل الله في كل ما حوله، ولم يَسْتَجْلِ – بعد – عظمة «معجزة الحياة» التي وهبها الله له، وإنما هو يشعر فقط بأن كل شيء نابع من داخله هو، وأنَّ **الموت سيبتلع كل شيء**. لذلك فهو يسعى باستمرار إلى التمتُّع بكل ما هو مائت قبل أن **يبتلعه العدم**. ومثل هذا الإنسان يعيش في **بؤس عظيم** مهما كان قدره أو مهما كانت ثقافته أو وضعه حتى لو كان هذا الوضع وضعًا دينيًا (من حيث الشكل أو الوظيفة). لماذا؟!! لأنه في حالة **خوف دائم من الموت!** فالموت عنده حاضر، **الموت عنده هو الصورة الأخرى للحياة**. لذلك فهو مُنقاد لاشعوريًّا تجاه **حُبّ الذات، والفرديَّة واستعمال العنف** مع كل ما من شأنه المساس **بذاته المريضة**. كذلك فإنه يعقد المقارنات دائمًا بين ما له وما للآخرين. لذا فالإحساس بعدم المساواة، ووجوب التصادم والصراع، أمران أساسيان عنده.

والعصر الحديث، عصر التكنولوجيا، هو أكثر عصر تتبلور فيه كل هذه **المفاهيم الخاطئة**. فلم تَرَ البشرية في تاريخها عصرًا يتكالب فيه الإنسان على المادة مثل هذا العصر، حتى أنَّنَا لم نَعُد نتوقف لنرى إنْ كان هذا الجديد ضروريًّا ونافعًا أم لا، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع قيمة المادة والنجاحات المادية، ولكن على حساب النموّ الروحي.

لذلك علينا أن نؤمن بأن الحياة الأرضيَّة ما هي إلَّا فترة انتقالية نتأهَّل فيها لحياة سماويَّة دائمة، كذلك علينا أن نعرف أنَّ هذا العالم المائت يحمل في أحشائه بذار حياة لا تموت. وهذا ما يُسمَّى بـ «البُعْد الروحي للمادة»، والذي فيه يُكَوِّن الشخص، بينه وبين موضوعات هذا العالم، علاقات روحيَّة هي نتيجة لعلاقته الروحيَّة السليمة مع الله مصدر كل خير.

ونستطيع أن نُلخِّص كل ما سبق، قائلين: بأنَّ الشخص المسيحي هو الذي يستقبل حياة هذا العالم كـ «نعمة» من الله، ومَن يمتلك هذه «النعمة» يفيض قلبه بالحبّ على مَنْ حوله مما يدفعه بصورة أو بأخرى إلى تسبيح الخالق على هذه «النعمة».

اختبار الله، واختبار النعمة:

إن العِشْرة مع الله واختبار عمله في حياتنا أمران يُولَدَانِ وَيَنْمُوَانِ باختبار النعمة. لذلك يجب علينا أن نستقبل نِعَم الله علينا بطريقة صحيحة، نستقبلها **بالشكر والفرح**، أي **بالتسبيح**. **والتسبيح** يعتمد بصورة كبيرة منه على تذكُّر مراحم الله: « بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلاَ تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ.» (مز ١٠٢: ٢). فلا ننسى، إذن، عمل الله في حياتنا كي نستطيع أن نتعرَّف على الطريقة التي يقودنا بها إليه، على أنه يجب ألَّا نركِّز على الأحداث التي نجتازها، بل يكون كل تركيزنا على تأثير هذه الأحداث على علاقتنا **بالله**، واختبار عمله في حياتنا من خلالها. وهنا سوف تصبح حياتنا غير معتمدة إطلاقًا على معطيات هذا العالم، بل على علاقتنا **بالله**؛ سوف لا نصبح بعد **عبيدًا** بل **أحرارًا**. لذلك يقول **داود المرنِّم**: «اِحْمَدُوا الرَّبَّ. ادْعُوا بِاسْمِهِ. عَرِّفُوا بَيْنَ الأُمَمِ بِأَعْمَالِهِ. غَنُّوا لَهُ. رَنِّمُوا لَهُ. أَنْشِدُوا بِكُلِّ عَجَائِبِهِ.» (مز١٠٥: ١و٢). فتذكُّر مراحم الله ونِعَمه هو الذي ينسج لنا ثوب الإيمان، إذ يمنحنا رؤية جديدة لِمَا في العالم، ويسمح لنا بتذوُّق الأبديَّة هنا على الأرض. ولذلك قيل عن **مريم العذراء** إنها «كَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هذَا الْكَلاَمِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا» (لو٢: ١٩).

التسبيح الحقيقي والشركة الروحيَّة:

إن كلمة «إفخارستيا» هي كلمة يونانية الأصل **تأتي من الفعل** «Ευχαριστώ» – إفخاريستُو» بمعنى «أَشكر أو أَحْمد». فالإفخارستيا تعتمد أساسًا على **فعل الشكر**. والفرح الإفخارستي، الناتج عن ممارسة هذا السِّرّ، هو فرح صادر عن قلب يعترف لله بالجميل، من قلب مملوء بالامتنان والشكر لله على نعمته، هو أيضًا فرح

القلب الذي عرف كيف يستقبل كنوز العليّ من خلال فرح الشركة. والشعور بهذا الفرح يفتح القلب مباشرة على محبة الله العجيبة، مما يُعطي الإنسان شعورًا بأنَّهُ محبوب من قِبَل الله مهما كانت حالته. وهذه هي قمة الحريَّة، وهي أيضًا القاعدة التي ينطلق منها المؤمن نحو الحياة الفُضلى التي أرادها المسيح لنا.

ففي الإفخارستيا يشترك المؤمن في جسد ودم المسيح، اللذين بهما ينال قوَّة حياة المسيح في حياته، ونيل هذه العطيَّة لا يتطلب ثمنًا بعينه؛ بل ينتج عنه تسبيح حقيقي، وشركة روحيَّة، وحريَّة داخليَّة. ومن هذا المفهوم يمكن للمؤمن أن يمارس حياة الشركة إذا امتدَّ بسرِّها مُستجليًا حضور الله في العالم من حوله. فيصبح العالم بذلك مجالًا لممارسة الشركة بمعنى أوسع.

وهنا يُحدِّثنا ديمتري ستانيلوي Dumitru Staniloae أكبر لاهوتي في كنيسة رومانيا الأرثوذكسيَّة قائلًا:

﴿إن الله يتكلَّم ويعمل دائمًا من خلال ظروف وأحداث عالمنا، وهو في حديثه هذا يدعو كل إنسان إلى الاتحاد به، وفيه أيضًا (أي حديثه) يجيب كل مَن يدعوه.﴾

فأنْ نعيش في المسيح هو أن نعيش هذا الحوار، هو أن نستمع بإنصات للهِ الذي يتكلَّم دائمًا من خلال الأحداث، وهو أيضًا أن نتحسس عمل النعمة القائم في كل تدخُّل إلهيّ في عالمنا.

وعلينا أن نكون منتبهين جيدًا للمنهج التربوي الذي وضعه الله لكل واحد منا من أجل تهيئتنا للحياة السماويَّة، وهذا يتطلَّب أن نقتني إيمانًا واثقًا بأنَّ هذا العالم المادي لا يمكن أن يحمل لنا شرًّا، طالما نحن على اتصال دائم بالله.

لذلك فإنَّني أُكَرِّر بأنَّ جوهر الحياة المسيحيَّة يكمن في «الشركة بين الإنسان والله»، أو بمعنى آخر في «دخول الإنسان في حوار مع الله». وإنْ كان هذا يحدث بصورة سريَّة في الاحتفال الليتورجي (القدَّاس)، فيجب أن يحدث أيضًا في مَحْفل الحياة، حيث يشترك الإنسان مع الله في نشر المحبة والفرح والسلام.

هذا هو «الإنسان الواثق»، الذي فيه تمتد جسور الثقة بين الإنسان والله؛ ليس من خلال الصلاة والأعمال الروحيَّة فقط، وإنما أيضًا من خلال كل أحداث العالم. ويأتي التسبيح هنا كتعبير عن قدرة القلب على استيعاب هذه العلاقة التي هي من وضع الخالق، هذا من جانب؛ ومن جانب آخر، يُحسَب التسبيح كـ «ذبيحة» يقوم عليها فعل الشركة بين الله والإنسان من خلال النعمة.

والتسبيح الذي نقدِّمه لله كذبيحة حبّ، يساعدنا على أنْ نكون أنفسنا، وليس شيئًا آخر؛ أي يهبنا أن نكون صادقين مع أنفسنا وهذا يجعل الحديث مع الله حديثًا صادقًا مثمرًا.

وفي الختام نؤكِّد «لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ. إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ. لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ» (رو ١: ١٨-٢٢). فلكي نتصل بالمسيح يجب ألَّا ننفصل عن العالم، بل بالحري ننفصل عن الشرِّير: «لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ.» (يو ١٧: ١٥). فالمسيح أعطانا نفسه من خلال الآخر، ومن خلال العالم المادي أيضًا!! من خلال الآخر بوصفه شاهدًا على حضور الله السرِّي (١)، ومن خلال العالم المادي لكونه حاملًا لقوة الله السريَّة أيضًا.

فيا ليتنا نقتني هذا الفكر المُحيي الذي قاد آباءنا القديسين في العالم، دون أن يتأثروا بسلبياته؛ أن نقتني هذا الفكر الذي يُحرِّرنا من الداخل، فيهرب منا كل خوف وكل ارتباط سلبي بالعالم.

ولنعرف في النهاية أنَّ: «الحبّ هو الذي يُحرِّر. وهذا الحبّ هو عطيَّة مجانية من الله لِمَن يفتح قلبه».

(١) كلمة «السرِّي» «تو ميستيكو» το μυστικό هنا تعني الأمور التي لا تنكشف إلَّا لمن لهم علاقة صادقة وحميمة مع الله (المترجم).

مُمكن أن يخلصوا أو يتأذوا

يحاول الشيطان بكل الطرق أن يؤذي الكهنة، لأن الآلاف يمكن أن يستفيدوا ويخلصوا بكاهن قديس واحد، كما أن آلافًا يمكن أن يتأذّوا وَيُدَمّروا بكاهن واحد متراخٍ.

الشيخ ييرونيموس من أجينا

لا تستمعوا لهم – القديس لوقا الجرّاح

لا تتركوا الصدمة تصيبكم عندما تسمعون ما يقولون عن الإيمان، لأن أولئك المتكلّمين لا يفهمون ما هو بالحقيقة. تذكّروا دائمًا المبدأ الأساسي بأنَّ المسيحيين الأوائل كانوا عارفين، فاعتبروا أنَّ الناس يكونون تعساء إذا عرفوا كلّ العلوم ولم يعرفوا الله. بالمقابل، اعتبروا أن الناس الذين يعرفون الله ولا يعرفون أيّ شيء عن المشاغل البشرية مباركون. احفظوا هذه الحقيقة في قلوبكم كأعظم الكنوز وتابعوا طريقكم من دون أن تلتفتوا يمينًا أو يسارًا. لا نُضَيِّعَنَّ طريقنا بسبب ما يقوله الآخرون عن الدين.

القديس لوقا الجرّاح

العظة الثالثة والعشرون، الخامسة في الأسرار
لأبينا القديس كيرلُّس رئيس أساقفة أورشليم
في القداس الإلهي : الصلاة الربَّانية

العظة الثالثة والعشرون

الخامسة في الأسرار – في القداس الإلهي (تتمة)

١٨) – لكن نجِّنا من الشرّير:

«لكن نجِّنا من الشرير». لو كانت عبارة: «لا تُدخلنا في تجربة» ألَّا نَتَجرَّب أبدًا، لمَا أَضافَ **الرَّبّ**: «ولكن نجِّنا من الشرّير». **الشرّير هو عدوّنا إبليس**، ونحنُ نطلب النجاة منه. ثمَّ عند نهاية الصلاة تقول: «آمين» أي «فليكن كذلك»، مما يعني أنَّك تُصَدِّق الطلبات في هذه الصلاة التي علّمنا إياها الله.

١٩) – الأقداس للقديسين:

بعد ذلك يقول الكاهن: «الأقداس للقديسين». القرابين المقدّمة على الهيكل مُقدّسة، لأنها تلقّت حلول **الرُّوح القُدُس** عليها. وأنتم كذلك قدّيسون، بما أنكم وُجِدْتُمْ جديرين لاقتبال **الرُّوح القُدُس**. فالأقداس للقديسين، هذا يتفق تمامًا. ثمّ تقولون: «قدُّوسٌ واحد، ربٌّ واحد، يسوع المسيح». وفعلًا ليس هناك إلَّا **قدُّوسٌ واحدٌ، قدوس من طبيعته**. أمَّا بالنسبة إلينا، فنحن قديسون كذلك، لا بالطبيعة ولكن بالمشاركة وبممارسة الفضائل والصلاة.

٢٠) – ذوقوا وانظروا ما أطيب الرَّب:

ثمّ تسمعون صوت المرنِّم يدعوكم، بنغم إلهي، إلى تناول **الأسرار المقدَّسة**: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرَّب» (مز٣٣:٩). لا تسلِّموا الحُكم إلى عقلكم الجسدي، ولكن إلى الإيمان الذي لا يشكّ. لأنكم عندما تتذوَّقون لا تذوقون خبزًا وخمرًا، بل جسد **المسيح** ودمه اللذين يمثّلانه.

٢١) – كيفيَّة التقرّب لتناول جسد الرَّب ... :

وعندما تقترب، لا تتقدَّم باسط اليدين والأصابع منفردة، ولكنِ ٱجعل من يدك اليُسرى عرشًا لِيَدِكَ اليُمنى، لأنَّ هذه سَتَتَقَبَّل الملك، وفي راحة يدك تَقَبَّل جسد **المسيح** قائِلًا: «آمين». وبعد أن تلمس عينيك بهذا الجسد المقدَّس لتقديسهما، تناول. وأَحْرِص على ألَّا يسقط منه (على الأرض) لأنَّكَ اذا اسقطت جزءًا منه فكأَنما يُبْتَر منك أحد أعضائك. قُل لي: إن أعطاك أحدٌ بعض شذور من ذهب، هلَّا تحافظ عليها بكل عناية خوفًا من أن تفقد منها جزءًا فيصيبك ضرر؟ فكم بالحري يجب عليك أن تُعْنَي بعدم فقد فُتات من هذا الخبز الذي هو أثمن من الذهب والأحجار الكريمة.

٢٢) – .... ودم الرَّبّ:

وبعد تناول جسد **المسيح**، إقترب من كأس دمه. لا تمدّ يديك، بَل احنِ رأسك دلالة على العبادة والإجلال، قائلًا: «آمين». وتقدَّس بتناولك دم **المسيح**. وبينما شفتاك رطبتان ٱلمسهما بأصابعك وَقَدِّس عينيك وجبينك وسائر حواسك. وفيما تنتظر نهاية الصلاة، أُشكر الله الذي أَهَّلَكَ لهذه الأسرار العظيمة.

٢٣) – حافظوا على القداسة ليوم مجيء الرَّبّ:

حافظوا بكل أمانة على هذه التقاليد، واحفظوا أنفسكم من كُل **خطيئة**. ولا تبتعدوا عن التناول، ولا تحرموا أنفسكم، **بدنس الخطيئة**، من هذه الأسرار المقدسة الروحيَّة. «قدَّسكم إلهُ السلام نفسه تقديسًا تامًّا، وحفظكم سالمين روحًا ونفسًا وجسدًا، يوم مجيء ربنا يسوع المسيح» (١ تسالونيكي ٥:٢٣)، الذي له المجد والإكرام والقدرة، مع الآب والرّوح القُدُس، الآن وإلى أبد الدهور. آمين.

ما هي المحبة؟

في هذه الأيام، يصوّرون المحبة على أنها علاقة اجتماعية أو فضيلة اجتماعية. هذا خطأ. ليست المحبة فضيلة للمجتمع. المحبة هي ثمرة الرُّوح القُدُس وهي تتحقق بقدر ما نُحب الله. ونحن نتواصل بالشكل الملائم والصحيح مع الناس الآخرين فقط عندما نتواصل بشكل جيد مع الله.

الشيخ أفرام الفاتوبيذي

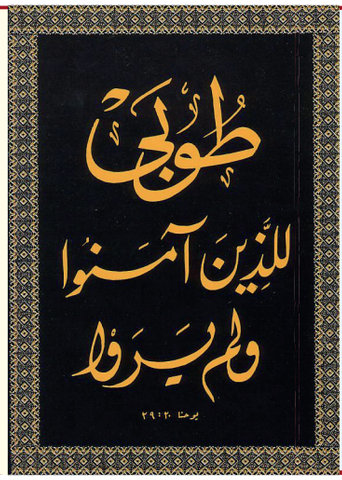

عالم اليوم

نحن، مسيحيي هذه الأيام، علينا أن ندرك أننا نعيش في عالم وثني مُلحد، وعلينا أن نكون ممتنين لأنهم لم يبدؤوا بعد برجمنا أو صلبنا. هذه هي الحقيقة المرّة.

الشيخ أبيفانيوس ثيودوروبولوس

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

– «إذن كان على حقّ هذا الكاهن الذي رسمته مؤخرًا، الأب تريفن.»

– وكيف ذلك؟

– « كان يقول: إنَّه لا أحد ينتبه إليك، ولكنك ثمين كالساقية الصامتة التي تنزل بهدوء لتسقي في العمق حقول الناس، والشعب اليوناني...»

فقاطعه نكتاريوس:

– «اصمت يا بُني، فهذا يكفي. عندما يمدحك أحدهم ارفع نظرك إلى الأعالي وصَلِّ إلى الرَّبّ لكي يمحو كل ذلك من ذاكرتك. نحن لا شيء لنا، ولم نَضِف شيئًا إلى الخليقة. وعندما كان الرَّبّ يعمل دون انقطاع قبل الدهور، أين كُنَّا نحنُ ؟

الفصل الخامس عشر

«بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التي أُخذتَ منها، لأنَّك تراب وإلى التراب تعود». (تكوين ٣:١٩).

سنة بعد سنة وحادثة بعد حادثة – وكانت في معظمها حوادث مؤلمة – بدا نكتاريوس يشعر بالتعب أكثر فأكثر.

كان يهتم بالدروس وبمشكلات المدرسة. إلى جانب الأشخاص الذين يأتونه للاعتراف، مع تأليف الكُتب، والخدم الليتورجيَّة غير المتوقعة. وشيئًا فشيئًا ودون أن يشعر، نشأت مراسلة بينه وبين مجموعة من الشخصيات الأجنبيّة، ومنها **بعض الكهنة الكاثوليك والبروتستانت وعلماء اللاهوت** من جميع الأنواع ممن كانوا **يتكلّمون بسلطان** عن «الإيمان الحقيقي». وكان يُرسل إليهم مؤلفاته ويتسلَّم بدوره مؤلفاتهم ويدرسها. وكان مُراسله الأكثر مواظبة **الشيخ أرسانيوس رئيس دير غروتا فيرّاتا الايطالي.**

فهل كان يستطيع أن يبقى متجاهلًا لجميع الانتقادات التي توجَّه إلى الكنيسة الأرثوذكسيَّة الوديعة والتي لا تُقهَر؟

وكان إتقانه للغة الفرنسيَّة خير مُساعد دائم له. ولكن مع الوقت بدأ نكتاريوس يحسّ أكثر فأكثر بثقل الهمّة والمرض. وقد تعرَّضَ للبرد فكاد يُصاب بذات الرئة، وعانى من السعال وارتفاع الحرارة لمدة شهر. وما أن سمح له الطبيب بمغادرة الفراش حتى خرج إلى الحديقة من باب المدرسة الشمالي الصغير. وسار ببطء شديد إلى الركن المزروع بالبنفسج. وراح يتأمَّل النور الذهبي الساطع في السماء الزرقاء، وتنهَّد. وكان النور المتسرِّب من بين الأشجار يملأ المنظر سلامًا، فابتهجت روحه وتمتم:

– « أشكرك يا ربّي يسوع العَذب، أشكرك. إنِّي أرغب الآن بالانعزال وترك العالم. إن كانت هذه مشيئتك، أيها الكليّ الرحمة ... ، إلَّا فليكن ما تريد».

وفي اليوم التالي وبعدما تلا صلاة خاصة خلال خدمة الغروب، استجمع شجاعته، وكتب فورًا رسالة إلى **دير خيوس** يطلب إعفاءه وشطب اسمه من لائحة الدير الذي ينتمي إليه، ليصبح حُرًّا في اختيار مكان نُسكه الجديد. وقد حزن رهبان دير خيوس كثيرًا عند تسلّمهم هذه الرسالة، وتحسّروا على نكتاريوس متكلّمين عن جمال روحه. وحَزَّ في قلبهم شطب مثل هذا الاسم الذي حُفرَ في قلوب جميع سكَّان الجزيرة، ليس لأنه مَدَّ لهم يد المعونة ماديًا عن طريق سينغروس فحسب، بل لأنه لم ينسهم أبدًا: فقد كانت مؤلّفاته تصلهم مجانًا الواحد بعد الآخر إلى الكنائس والمدارس.

وفكّر رئيس الدير عندها بأن يقدِّم لنكتاريوس رسميًّا ملكيَّة أرض في **پاروس**، هذه الجزيرة الخضراء والزرقاء كما كان يُقال. وهناك ورغم بُعده عنهم، سيصبح بإمكانه أن يقوم بزراعته الروحيَّة، ودون أن يُشطب اسمه من الدير الذي لَبِسَ فيه الجبّة للمرة الأولى. ورحَّب مجلس الرهبان بهذا الاقتراح بفرحٍ كبير. ولكن « العبد في التفكير، والرَّب في التقدير»، فقد استشاط **متروبوليت پاروس غضبًا وأحسَّ بالإهانة**، إذ لم يُطلب رأيه في الموضوع. فهل القرار يعود إلى الرهبان؟ وهل يجوز لهؤلاء أن يتعدّوا صلاحياتهم ويأخذوا دور الأسقف؟ لقد كانت **جرثومة الحسد تتآكله في السر**، فكلما هرب هذا المنفي من الإسكندرية من المجد الأرضي، أقبل إليه فاتحًا له كُل الأبواب.

وهكذا رفضَ **متروبوليت پاروس** إعطاء موافقته. وبعد انقضاء الوقت اللازم لإتمام المعاملات، أرسلَ **دير خيوس** رسالة الإعفاء إلى نكتاريوس بكل أسف. كان ذلك قرابة ٢٤ تشرين الثاني من العام ١٩٠٠ . وهكذا صار بإمكانه أن يتوجه إلى أي دير يمكن أن يستقبله. صار بإمكانه أخيرًا التنحّي والتكرّس للصلاة العقلية والحياة الرهبانيَّة.

(التتمة في العدد القادم)

إنها خيانتهم : للقديس سمعان اللاهوتي الحديث

إنَّ الناس الطموحين، الذين يحبون الجسد والمال، لا يتحمّلون أي تهديد أو هزء أو ازدراء من طرف الناس الآخرين، ولا أي حرمان أو خسارة مادية. لهذا السبب هم يخونون ما هو سماوي وأبدي من أجل الأرضي والوقتي. من أجل العابر يخسرون الدائم. من أجل الأشياء التي لا قيمة لها يخسرون خلاصهم.

طروباريّة دخول السيِّدة إلى الهيكل – على اللحن الرابع:

إنَّ اليوم مقدمة مسرَّة الله وبدء الكرازة بخلاص البشر. فإنَّ العذراء قد ظهرت فيه في هيكل الله تبشِّرُ الجميع بالمسيح. فلنهتفنَّ نحوها بصوتٍ عظيمٍ قائلين: إفرحي يا اتمام تدبير الخالق.

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122